النور المبين

يونس

في تنزيه نبيّ ربّ العالمين

يوسف عليه السلام



فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة
العامة لإدارة الكتب والوثائق
القومية إدارة الشؤن الفنية

تأليف: محمود بن محمد بن
عبد اللّه
العنوان: النور المبين في تنزيه نبي
رب العالمين يوسف عليه السلام
مقاس الكتاب: ١٤ × ٢٢ سم
عدد الصفحات: ١٤٧ ص
تدمك: ٧ ٤٥ ٠٠ ٦٥٠ ٩٧٧ ٩٧٨



١٤٤٦ - ٢٠٢٥

الحكمة العالية .. مصوغة
في أجمل قالب من البيان



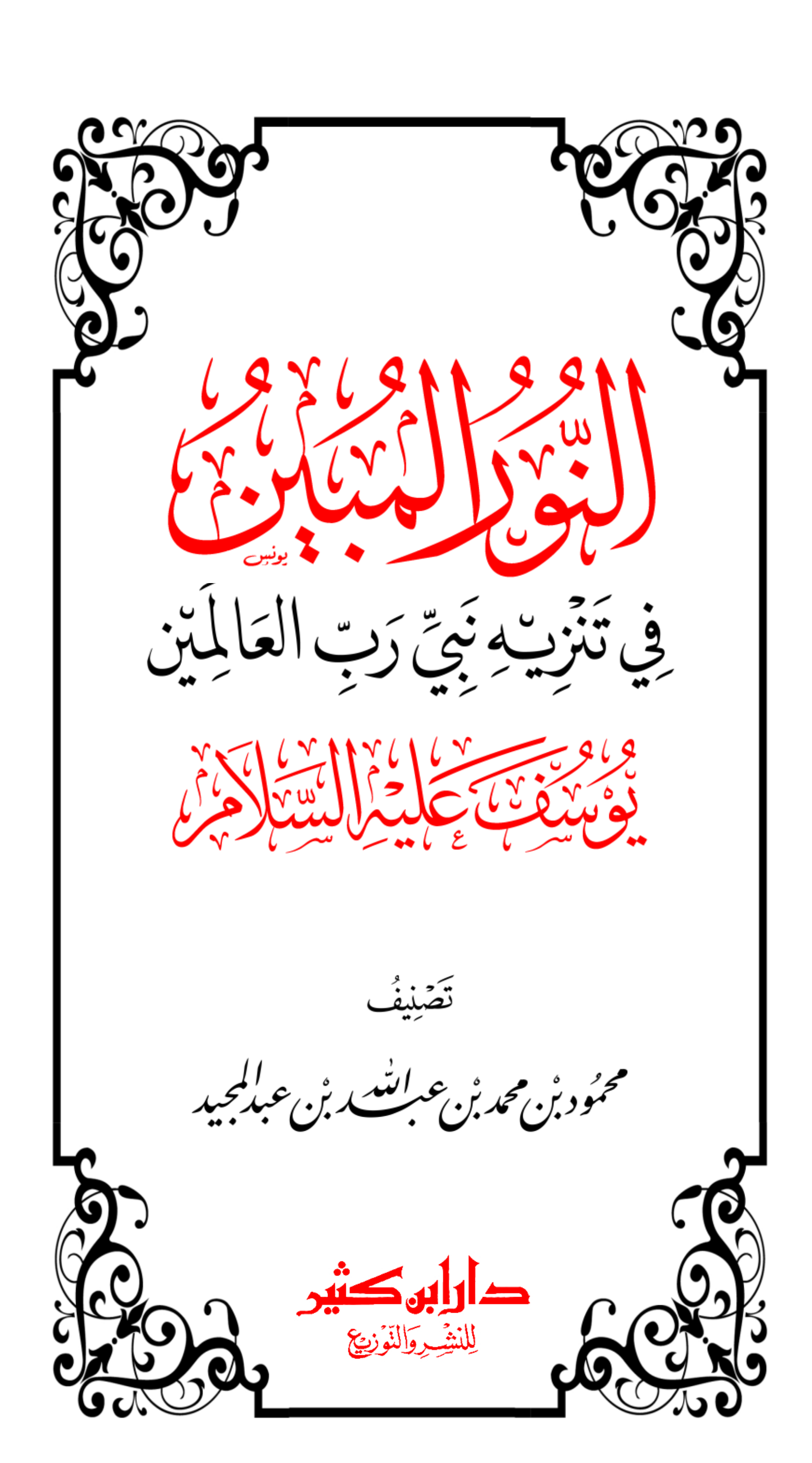
رقم الإيداع: ٢٠٢٥/٩٦٢٦
الترقيم الدولي: ٧ ٤٥ ٠٠ ٦٥٠ ٩٧٧ ٩٧٨

الناشر
دار ابن كثير
للنشر والتوزيع



١ شارع البيطار خلف الجامع الأزهر - القاهرة
٠١٠٠١٤٦٥٠٨٣ / ٠٢٢٥١١٢٧٩٩
dar.ibnkather@yahoo.com





النور المبين

يونس

في تنزيه نبي رب العالمين

يوسف عليه السلام

تصنيف

محمود بن محمد بن عبد الله بن عبد المجيد

دار ابن كثير
للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله الواحد القهار العزيز الغفار، مُكوِّر الليل علىٰ النَّهار تذكرة لأولي القلوب والأبصار، وتبصرة لذَوِي الألباب والاعتِبَار، الذي أيقظ من خلقه من اصطفاه فزهَّدَهم في هذه الدار، وشَغلهم بمراقَبتِه وإدامَة الأَفكَار، ومُلازَمَة الاتِّعَاظ والادِّكَار، ووفَّقَهم للدَّأب في طاعته، والتَّأهب لدار القَرار، والحذر مما يُسخِطُه ويُوجب دار البوار، والمحافظة علىٰ ذلك مع تغاير الأحوال والأطوار، أحمده أبلغ حمدٍ وأَزكاهُ وأشملَه وأَنمَاه، وأشهد أن لا إله إلا الله البرُّ الكَريم الرَّءوف الرَّحيم، وأَشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، وحبيبُه وخليلُه، الهَادِي إلىٰ صِرَاطٍ مستقِيم، والدَّاعي إلىٰ دين قَويم، صلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ سائر النَّبِيِّين.

فهذا بحثٌ فيه دِفاع عن نبيِّ الله يُوسف وتنَزيهه عن كل ما يُشينُه، فما كان فيه من صوابٍ فمن اللهِ وحدَه، وما كان فيه من خطإٍ أو سَهوٍ أو نِسيَان فمنِّي ومِن الشيطان، وأعوذ بالله أن أكون جسرًا تعبرون عليه إلىٰ الجنَّة ثمَّ يُلقَىٰ به في جهنم.

وَإِنْ تَجِدْ عَيْبًا فَسُدَّ الخَلَلَا

فَجَلَّ مَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ وَعَلَا

وكتبه

محمود بن محمد بن عبد الله بن عبد المجيد

بقرية كوم أبوراضي - مركز الواسطى - محافظة بني سويف

جمهورية مصر العربية حفظها الله من كل سوء ومكروه وسائر بلاد المسلمين

ليلة الخامس عشر من ربيع الآخر سنة ١٤٤٦ من هجرة النبي ﷺ

والحمد لله رب العالمين

قال تعالى:

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴾ [يوسف:٣]

القَصص إِتِّبَاع الخَبر بعضه بعضًا وأصلُه في اللُّغة المُتابعَة، قال تعالىٰ: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾ [القصص: ١١] أي: اتَّبعِي أثره، وقال تعالىٰ: ﴿ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ [الكهف: ٦٤] أي اتِّباعًا، وإنَّما سُمِّيت الحكاية قصصًا؛ لأنَّ الذي يقصُّ الحديث يذكر تلك القصة شيئًا فشيئًا، كمَا يُقَال تَلا القرآن إذا قرأه؛ لأنَّه يتلُو، أَي: يتَّبع ما حَفِظ منه آيَة بعد آيَة، والقَصص في هذه الآية يَحتَمل أن يكُون مَصدرًا بمعنَىٰ الاقتِصَاص، يُقَال: قصَّ الحَدِيثَ يَقُصُّهُ قَصًّا وقَصَصًا؛ إذَا طَردَه وسَاقَه، كمَا يُقَالُ: أَرسَله يُرسِلُه إِرسَالًا، ويجُوز أن يكون مِن بَاب تَسمِيَة المَفعول بالمَصدر، كقَولِك: هذا قُدرَة اللهِ تعالَىٰ؛ أي: مَقدُورُه، وهذَا الكِتَاب عِلمُ فُلَان أَي مَعلومُه، وهذا رَجاؤنا؛ أي: مَرجُونَا، فإن حملناه علىٰ المَصدر كان المَعنَىٰ: نَقُصُّ عَليكَ أَحسَنَ الاقتِصَاصِ، وعلىٰ هذا التَّقدير فالحُسن يعود إلىٰ حُسنِ البيَان لا إلىٰ القصَّة، والمُراد من هذا الحُسن كَون هذِه الأَلفَاظ فصيحة بالِغَة في الفَصاحة إلىٰ حدِّ الإِعجَاز، وإن حملناه علىٰ المفعُول كان معنىٰ كَونِه أحسَن القَصصِ لمَا فيهِ من العِبَر والنُّكَت والحكَم والعَجائَب، التي لَيسَت في

غَيرِها ومن هذه الفَوائِد والعِبَر:

١- أنَّه لا دَافع لقضَاء اللهِ تعالىٰ ولا مَانع من قَدر الله تعالىٰ، وأنَّه تَعالَىٰ إذَا قضَىٰ لِلإنسَان بخَيرٍ ومَكرُمة فلَو أنَّ أهلَ العالَم اجتَمعُوا عَليهِ لَم يَقدِروا علَىٰ دَفعِه فإِخوَة يُوسُف أَرادُوا أَن يكُون عَبدًا، ولكنَّ اللهَ جَعلَه عَزيزًا.

- وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأقلام، وجفَّت الصُّحُف» [رَوَاهُ أَحْمد وَالتِّرْمِذِيّ](١).

٢- دَلالتهَا علَىٰ أنَّ الحَسدَ سَبب لِلخُذلَان والنُّقصَان، فإِخوَة يُوسُف أَلقُوا يُوسُفَ في غيابَاتِ الجبِّ ثمَّ بَاعُوه عَبدًا، فمَكَّنه الله في الأرضِ وجَعلَه عَزيزًا لمصر.

٣- أنَّ الصَّبرَ مِفتَاحُ الفَرج كمَا في حقِّ يَعقُوب عليه السلام، فإنَّه لمَّا صَبر فَازَ بمَقصودِه فيَعقُوب قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:١٨]، فردَّ اللهُ إليهِ بَصرَه وردَّ إليه يوسف، وكذَلِك في حقِّ يُوسف عليه السلام، فيُوسُف لمَّا صبرَ علَىٰ أَذىٰ إِخوَتِه وأَذَىٰ امرَأةِ العَزيزِ مكَّن اللهُ لَه في الأَرضِ، وجَعلَه عَزيزًا لِمصرَ، وجَمَع عَليهِ شَملَه، وحقَّق لَه الرُّؤيَا

(١) مشكاة المصابيح بتحقيق الألباني وصححه (٣/ ١٤٥٩).

التي رَأَهَا قَال تَعالَىٰ: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [يوسف:١٠٠].

٤- أنَّ فِيها ذِكر الأَنبِيَاء - عَليهم الصَّلاة والسَّلَام - والصَّالحين، والمَلائكَة، والجنِّ، والشَّياطِين، والإنس، والطَّيرِ، وسِيَر المُلُوك، والمَمَاليك، والتُّجار، والعُلمَاء، والجُهَّال، والرِجال، والنِّسَاء وحِيَلِهِنَّ ومَكرِهِنَّ، وذكر التَّوحِيد، والفِقه، والسِّيَر، وتَعبيرِ الرُّؤيا، والسِّياسَة، والمُعاشَرَة، وتَدبِير المعَاشِ، وفِيهَا ذِكرُ الحَبيبِ، والمَحبُوب، وسيرهما.

٥- لأنَّ كلَّ من ذُكر فيها كان مَآلُه إلىٰ السَّعادَة، وانظر إلىٰ يُوسُف، فَاللهُ مكَّن له في الأرضِ وجعلَه عزيزًا لمصر، وردَّ إليهِ أبيهِ وإخوَتِه وجَمع شَملَه، وأَبِيهِ فقد ردَّ الله إليه بَصرَه وردَّ إِليه يُوسُف وَإخوَتِه، فقَد عَادُوا إلىٰ يُوسُف وعَفَا عَنهُم، وامرأةِ العَزيز فقَد تَابت مِن مُرَاوَدَتِها لِيُوسُف، قِيلَ: وَالمَلك أَيضًا أَسلَم بيُوسُف، وحَسُن إِسلَامُه، ومُستَعبِر الرِّؤيَا، والسَّاقِي، والشَّاهِد فيمَا يُقَال، فمَا كانَ أَمر الجَمِيع إلَّا إلىٰ خيرٍ.

٦- كَونُ هذه الألفاظ فَصيحَة بالغَة في الفصاحة إلىٰ حدِّ الإعجازِ، ألَا تَرىٰ أنَّ هذهِ القصَّة مَذكُورَة في كُتُب التَّوارِيخ مَع أنَّ شيئًا مِنها لَا يُشابِه هذِه السُّورَة في الفصاحَة والبلاغَة.

٧- أنَّها ثَبَّتتِ النَّبيَّ وأصحابه علىٰ الحَقِّ؛ لأنَّ الذِي قَدر علىٰ إِعـزَاز يُوسُـف بعـدَ إِلقائِـه في الجـبِّ، وإِعلائـه بعـدَ حَبسِـه في السـجنِ وتَمليكِه مصرَ بعدَ أن كانُوا يَظنُّون به أنَّه عَبد لَهُـم، وجَمعَه مَع والديـه وإِخوته علىٰ ما أحبَّ بعد المدَّة الطَّويلَة، لَقَادِر علَىٰ إِعـزَاز مُحمَّدٍ ﷺ وإِعلَاءِ كَلمتِه.



عِصمَةُ الأَنْبِيَاءِ[(١)]

(١) قال الشيخ محمد بن عبدالرحمن الخميس في أصول الدين عند الامام أبي حنيفة(٤٨٠– ٤٨٥):

«المبحث الثالث: عصمة الأنبياء

معنىٰ العصمة في اللغة: المنع ومنه قوله تعالىٰ حكاية عن امرأة العزيز: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾، أي امتنع.

قال القرطبي: «سميت العصمة عصمة لأنها تمنع من ارتكاب المعصية» .

أما في الاصطلاح:

فقيل: هي حفظ الله أنبياءه ورسله من النقائص وتخصيصهم بالكمالات النفسية والنصرة والثبات في الأمور وإنزال السكينة .

وقيل: هي ملكة إلهية تمنع الإنسان من فعل المعصية والميل إليها مع القدرة عليها.

فهل الأنبياء معصومون من ارتكاب صغائر الذنوب؟ أم من الكبائر؟ أم من الذنوب جميعها؟.

اختلفت أقوال الناس ومذاهبهم مع اتفاقهم علىٰ عصمتهم في تبليغ الرسالة.

فمنهم من لم ير عصمة الأنبياء عن الكبائر والصغائر عدا الكذب، وهذا قول الكرامية وبعض الخوارج ونسبه ابن حزم إلىٰ الباقلاني.

ومنهم من جوّز وقوع الكبائر من الأنبياء سهوا لا عمدا وهذا ما عليه الرازي من الأشاعرة.

ومنهم من يرىٰ وجوب العصمة للأنبياء من الكبائر والصغائر، سواء كانت عمدا أو سهوا قبل النبوة أو بعدها؛ فلا يقع منهم معصية ألبتة. وهذا عليه الرافضة والقاضي عياض والسبكي من الأشاعرة، والقاضي عبد الجبار من المعتزلة.

ومنهم من يرىٰ أن الأنبياء معصومون من الصغائر والكبائر بعد النبوة وهذا عليه بعض الأشاعرة والماتريدية كابن مجاهد والشهرستاني والبغدادي والصابوني وذهب بعض أئمة سمرقند أن الأنبياء معصومون من الكبائر=

=والصغائر والزلات جميعًا.
ومنهم من يرىٰ أن الأنبياء معصومون من الكبائر مطلقا ومن الصغائر عمدا. وهذا عليه بعض الأشاعرة والماتريدية كالأيجي والتفتازاني والبزدوي وابن أبي الشريف، والبياضي، والجاحظ والنظّام والأصم وجعفر بن بشر ونسبه البزدوي إلىٰ أهل السنة حيث قال: «قال أهل السنة والجماعة: إن الأنبياء والرسل معصومون من الكبائر من الذنوب والصغائر بطريق القصد، أما الزلات فغير معصومين عنها، وهو ما يقع من الذنوب منهم خطأ أو نسيانا» .
قلت: هذا هو ظاهر كلام الإمام أبي حنيفة فقد قال: «والأنبياء عليهم الصلاة والسلام منزهون عن الصغائر والكبائر والكفر والقبائح، وقد كانت منهم زلات وخطايا.
ومنهم من يرىٰ أن الأنبياء معصومون من الكبائر دون الصغائر، فجوزوا وقوع الصغائر من الأنبياء مطلقا وهذا عليه ابن جرير وابن قتيبة وشيخ الإسلام وابن فورك والجويني من الأشاعرة وأبو هاشم من المعتزلة، ونسبه شيخ الإسلام إلىٰ الجمهور حيث قال: «والجمهور الذين يقولون بجواز الصغائر عليهم يقولون: إنهم معصومون من الإقرار عليها وحينئذ فما وصفوهم إلا بما فيه كمالهم فإن الأعمال بالخواتيم، مع أن القرآن والحديث وإجماع السلف معهم».
وقال: «والقول الذي عليه جمهور الناس وهو الموافق للآثار المنقولة عن السلف إثبات العصمة من الإقرار علىٰ الذنوب مطلقا والرد علىٰ من يقول أنه يجوز إقرارهم عليها».
وقال: «والقول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام. وجميع الطوائف حتىٰ إنه قول أكثر أهل الكلام ... بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين إلا ما يوافق هذا القول».
وما ذهب إليه الجمهور هو ما دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١].
وقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ =

=﴿فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ ۩ ٢٤ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ [ص: ٢٤-٢٥]. وقوله تعالىٰ حكاية عن يونس: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وقول النبي ﷺ: «إنما أنا بشر مثلكم أنسىٰ كما تنسون فإذا نسيت فذكروني» [البخاري ٤٠١].

وكان النبي ﷺ يدعو بهذا الدعاء: «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي جدّي وهزلي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي ...» [مسلم ٢٧١٩].

قال ابن جرير في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾: «خالف أمر ربه فتعدّىٰ إلىٰ ما لم يكن له أن يتعدىٰ عليه من الأكل من الشجرة التي نهاه عن الأكل منها، ثم اصطفاه ربه من بعد معصيته إياه، فرزقه الرجوع إلىٰ ما يرضىٰ عنه، والعمل بطاعته، وذلك هو كانت توبته التي تابها عليه وهداه للتوبة ووفقه لها» (تفسير ابن جرير ١٣ / ٢٢٤).

ثم هذا الرأي رأي وسط بين الآراء المذكورة فمن ادّعىٰ امتناع الذنوب علىٰ الأنبياء مطلقا فقد أفرط، ومن منع عصمة الأنبياء من الذنوب جميعا فقد فرّط، والحق دائما وسط فلا إفراط ولا تفريط» انتهىٰ.

قال الفخر الرازي في تفسيره (٣ / ٤٥٥ - ٤٥٧): «اختلف الناس في عصمة الأنبياء عليهم السلام وضبط القول فيه أن يقال: الاختلاف في هذا الباب يرجع إلىٰ أقسام أربعة: أحدها: ما يقع في باب الاعتقاد، وثانيها: ما يقع في باب التبليغ، وثالثها: ما يقع في باب الأحكام والفتيا، ورابعها: ما يقع في أفعالهم وسيرتهم. أما اعتقادهم الكفر والضلال فإن ذلك غير جائز عند أكثر الأمة. وقالت الفضيلية من الخوارج: إنهم قد وقعت منهم الذنوب، والذنب عندهم كفر وشرك، فلا جرم قالوا بوقوع الكفر منهم، وأجازت الإمامية عليهم إظهار الكفر علىٰ سبيل التقية.

أما النوع الثاني: وهو ما يتعلق بالتبليغ، فقد أجمعت الأمة علىٰ كونهم معصومين عن الكذب والتحريف، فيما يتعلق بالتبليغ، وإلا لارتفع الوثوق بالأداء، واتفقوا علىٰ أن ذلك لا يجوز وقوعه منهم عمدا كما لا يجوز أيضا=

= سهوا، ومن الناس من جوز ذلك سهوا، قالوا: لأن الاحتراز عنه غير ممكن.
وأما النوع الثالث: وهو ما يتعلق بالفتيا فأجمعوا علىٰ أنه لا يجوز خطؤهم فيه علىٰ سبيل التعمد، وأما علىٰ سبيل السهو فجوزه بعضهم وأباه آخرون.
وأما النوع الرابع: وهو الذي يقع في أفعالهم، فقد اختلفت الأمة فيه علىٰ خمسة أقوال. أحدها: قول من جوز عليهم الكبائر علىٰ جهة العمد وهو قول الحشوية. والثاني: قول من لا يجوز عليهم الكبائر لكنه يجوز عليهم الصغائر علىٰ جهة العمد إلا ما ينفر كالكذب والتطفيف وهذا قول أكثر المعتزلة. القول الثالث: أنه لا يجوز أن يأتوا بصغيرة ولا بكبيرة علىٰ جهة العمد ألبتة، بل علىٰ جهة التأويل وهو قول الجبائي. القول الرابع: أنه لا يقع منهم الذنب إلا علىٰ جهة السهو والخطأ ولكنهم مأخوذون بما يقع منهم علىٰ هذه الجهة وإن كان ذلك موضوعا عن أمتهم وذلك لأن معرفتهم أقوىٰ ودلائلهم أكثر، وأنهم يقدرون من التحفظ علىٰ ما لا يقدر عليه غيرهم. القول الخامس: أنه لا يقع منهم الذنب لا الكبيرة ولا الصغيرة لا علىٰ سبيل القصد ولا علىٰ سبيل السهو ولا علىٰ سبيل التأويل والخطأ، وهو مذهب الرافضة.
واختلف الناس في وقت العصمة علىٰ ثلاثة أقوال: أحدها: قول من ذهب إلىٰ أنهم معصومون من وقت مولدهم وهو قول الرافضة، وثانيها: قول من ذهب إلىٰ أن وقت عصمتهم وقت بلوغهم ولم يجوزوا منهم ارتكاب الكفر والكبيرة قبل النبوة، وهو قول كثير من المعتزلة، وثالثها: قول من ذهب إلىٰ أن ذلك لا يجوز وقت النبوة، أما قبل النبوة فجائز، وهو قول أكثر أصحابنا وقول أبي الهذيل وأبي علي من المعتزلة والمختار عندنا أنه لم يصدر عنهم الذنب حال النبوة ألبتة لا الكبيرة ولا الصغيرة، ويدل عليه وجوه: أحدها: لو صدر الذنب عنهم لكانوا أقل درجة من عصاة الأمة وذلك غير جائز، بيان الملازمة أن درجة الأنبياء كانت في غاية الجلال والشرف، وكل من كان كذلك كان صدور الذنب عنه أفحش ألا ترىٰ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب: ٣٠] والمحصن يرجم وغيره يحد، وحد العبد نصف حد الحر، وأما أنه لا يجوز=

= أن يكون النبي أقل حالا من الأمة فذاك بالإجماع. وثانيها: أن بتقدير إقدامه علىٰ الفسق وجب أن لا يكون مقبول الشهادة لقوله تعالىٰ: ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦] لكنه مقبول الشهادة، وإلا كان أقل حالا من عدول الأمة، وكيف لا نقول ذلك وأنه لا معنىٰ للنبوة والرسالة إلا أنه يشهد علىٰ الله تعالىٰ بأنه شرع هذا الحكم وذاك، وأيضا فهو يوم القيامة شاهد علىٰ الكل لقوله: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾ [البقرة: ١٤٣]. وثالثها: أن بتقدير إقدامه علىٰ الكبيرة يجب زجره عنها، فلم يكن إيذاؤه محرما لكنه محرم لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [الأحزاب: ٥٧] . ورابعها: أن محمدا ﷺ لو أتىٰ بالمعصية لوجب علينا الاقتداء به فيها لقوله تعالىٰ: ﴿فَٱتَّبِعُونِي﴾ [آل عمران: ٣١] فيفضي إلىٰ الجمع بين الحرمة والوجوب وهو محال، وإذا ثبت ذلك حق محمد ﷺ ثبت أيضا في سائر الأنبياء، ضرورة أنه لا قائل بالفرق. وخامسها: أنا نعلم ببديهة العقل أنه لا شيء أقبح من نبي رفع الله درجته وائتمنه علىٰ وحيه وجعله خليفة في عباده وبلاده يسمع ربه يناديه: لا تفعل كذا فيقدم عليه ترجيحا للذته غير ملتفت إلىٰ نهي ربه ولا منزجر بوعيده. هذا معلوم القبح بالضرورة. وسادسها: أنه لو صدرت المعصية من الأنبياء لكانوا مستحقين للعذاب لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا﴾ [الجن: ٢٣] ولا استحقوا اللعن لقوله: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨] وأجمعت الأمة علىٰ أن أحدًا من الأنبياء لم يكن مستحقا للعن ولا للعذاب فثبت أنه ما صدرت المعصية عنه. وسابعها: أنهم كانوا يأمرون الناس بطاعة الله فلو لم يطيعوه لدخلوا تحت قوله: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤] .
وقال: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُ﴾ [هود: ٨٨]، فما لا يلق بواحد من وعاظ الأمة كيف يجوز أن ينسب إلىٰ الأنبياء عليهم السلام. وثامنها: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، ولفظ الخيرات للعموم فيتناول الكل ويدخل فيه فعل ما ينبغي وترك ما لا ينبغي، فثبت أن الأنبياء كانوا فاعلين لكل ما ينبغي فعله وتاركين كل ما=

= ينبغي تركه، وذلك ينافي صدور الذنب عنهم.
وتاسعها: قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ [ص: ٤٧]، وهذا يتناول جميع الأفعال والتروك بدليل جواز الاستثناء فيقال: فلانا من المصطفين الأخيار إلا في الفعلة الفلانية والاستثناء يخرج من الكلام ما لولاه لدخل تحته، فثبت أنهم كانوا أخيارا في كل الأمور، وذلك ينافي صدور الذنب عنهم. وقال: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج: ٧٥]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٣]. وقال في إبراهيم: ﴿ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ [البقرة: ١٣٠]. وقال في موسىٰ: ﴿ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ﴾ [الأعراف: ١٤٤]. وقال: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ [ص: ٤٥- ٤٧]. فكل هذه الآيات دالة علىٰ كونهم موصوفين بالاصطفاء والخيرية، وذلك ينافي صدور الذنب عنهم.
عاشرها: أنه تعالىٰ حكىٰ عن إبليس قوله: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص: ٨٢- ٨٣]، فاستثنىٰ من جملة من يغويهم المخلصين وهم الأنبياء عليهم السلام. قال تعالىٰ في صفة إبراهيم وإسحاق ويعقوب: ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴾ [ص: ٤٦] وقال في يوسف: ﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف: ٢٤]، وإذا ثبت وجوب العصمة في حق البعض ثبت وجوبها في حق الكل لأنه لا قائل بالفرق.
والحادي عشر: قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ: ٢٠]، فأولئك الذين ما اتبعوه وجب أن يقال: إنه ما صدر الذنب عنهم وإلا فقد كانوا متبعين له، وإذا ثبت في ذلك الفريق أنهم ما أذنبوا فذلك الفريق إما الأنبياء أو غيرهم، فإن كانوا هم الأنبياء فقد ثبت في النبي أنه لا يذنب وإن كانوا غير الأنبياء فلو ثبت في الأنبياء أنهم أذنبوا لكانوا أقل درجة عند الله من ذلك الفريق، فيكون غير النبي أفضل من النبي، وذلك باطل بالاتفاق فثبت أن الذنب ما صدر عنهم.
الثاني عشر: أنه تعالىٰ قسم الخلق قسمين فقال: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ =

=حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩]، وقال في الصنف الآخر، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢] ولا شك أن حزب الشيطان هو الذي يفعل ما يرتضيه الشيطان، والذي يرتضيه الشيطان هو المعصية، فكل من عصىٰ الله تعالىٰ كان من حزب الشيطان، فلو صدرت المعصية من الرسول لصدق عليه أنه من حزب الشيطان ولصدق عليه أنه من الخاسرين ولصدق علىٰ زهاد الأمة أنهم من حزب الله وأنهم من المفلحين، فحينئذ يكون ذلك الواحد من الأمة أفضل بكثير عند الله من ذلك الرسول، وهذا لا يقوله مسلم. الثالث عشر: أن الرسول أفضل من الملك فوجب أن لا يصدر الذنب من الرسول، وإنما قلنا إنه أفضل لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]، ووجه الاستدلال به قد تقدم في مسألة فضل الملك علىٰ البشر وإنما قلنا إنه لما كان كذلك وجب أن لا يصدر الذنب عن الرسول لأنه تعالىٰ وصف الملائكة بترك الذنب فقال: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ [الأنبياء: ٢٧] . وقال: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، فلو صدرت المعصية عن الرسول لامتنع كونه أفضل من الملك لقوله تعالىٰ: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨] .

الرابع عشر: روي أن خزيمة بن ثابت شهد لرسول الله ﷺ علىٰ وفق دعواه فقال رسول الله ﷺ: «كيف شهدت لي» فقال: يا رسول الله إني أصدقك علىٰ الوحي النازل عليك من فوق سبع سموات أفلا أصدقك في هذا القدر؟ فصدقه رسول الله ﷺ وسماه بذي الشهادتين ولو كانت المعصية جائزة علىٰ الأنبياء لما جازت تلك الشهادة.

الخامس عشر: قال في حق إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤] والإمام من يؤتم به فأوجب علىٰ كل الناس أن يأتموا به فلو صدر الذنب عنه لوجب عليهم أن يأتموا به في ذلك الذنب وذلك يفضي إلىٰ التناقض.

السادس عشر: قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] والمراد بهذا العهد إما عهد النبوة أو عهد الإمامة، فإن كان المراد عهد النبوة=

= وجب أن لا تثبت النبوة للظالمين، وإن كان المراد عهد الإمامة وجب أن لا تثبت الإمامة للظالمين وإذا لم تثبت الإمامة للظالمين وجب أن لا تثبت النبوة للظالمين، لأن كل نبي لا بد وأن يكون إماما يؤتم به ويقتدىٰ به. والآية علىٰ جميع التقديرات تدل علىٰ أن النبي لا يكون مذنبا» انتهىٰ.

عصمة الأنبياء فيما يبلغونه عن الله بالإجماع

قَـال شـيخُ الإسـلام ابـن تيميـة في الفتـاوىٰ الكـبرىٰ (٥/ ٢٥٦): «وهـذه العِصـمَة الثَّابتَـة للأنبيـاء هـي التـي يحصـل بهـا مقصُـود النبـوَّة والرسالة؛ فإن (النَّبِيَّ) هو المُنبِئ عنِ الله، و(الرَّسُول) هو الذي أَرسلَه اللهُ تعالىٰ، وكـل رَسُـول نبيٌّ، ولـيسَ كـل نَبِـيٍّ رَسـولًا، **والِعصـمَة فيمـا يبلِّغونَه عن الله ثَابتَة، فلا يَستقر في ذلك خَطأ باتِّفَاقِ المُسلمِين**».

قـال ابـن تيميـة في الفتـاوىٰ الكـبرىٰ (٥/ ٢٦٠): «ثـمَّ إن العِصـمَة المَعلُومة بدَلِيل الشَّرع والعَقلِ والإجمَاع، وهِـي «**العِصـمَة في التَّبلِيـغ**» لَم ينتفعوا بها إذ كانوا لا يُقرُّون بمُوجِب مَا بلَّغته الأنبياء».

قال ابنُ تَيمية في جامع المسائل المجموعه الرابعه (٤٠): «ولهـذا اتَّفقَت الأمةُ علىٰ أنه **مَعصُوم فيمـا يُبلِّغُـه عـن ربِّه تبـارك وتعـالىٰ**، فـإنَّ مَقصُود الرِّسالَة لا يتمُّ إلَّا بذَلِك، وكـلُّ مَـا دلَّ علـىٰ أنَّـه رَسُـول اللهِ مـن مُعجِزَة وغَير مُعجزَة فهُو يَدلُّ علىٰ ما قَـال ﷺ:«فـإني لـن أكـذب علـىٰ الله».

وقَـد اتَّفقُـوا أنَّـه لَا يُقـرُّ علـىٰ خَطإٍ في ذَلِـك، وكـذلِك لا يُقـرُّ علـىٰ الذُّنُوبِ لَا صغَائِرها ولَا كَبائِرهَا».

قال ابن تيمية في مجموع الفتـاوىٰ (١٨/ ٧): «فإِن الآيـاتِ الدَّالَّـة

علىٰ نبوَّة الأنبيَاءِ دلَّت علىٰ أنهم **مَعصومون فيما يُخبِرون به عن اللهِ عزَّ وجلَّ**، فَلا يكُون خَبرُهم إلَّا حقًّا وهذا مَعنَىٰ النُّبُوَّة وهُو يتضمَّن أن اللهَ يُنبئُه بِالغَيبِ، وأنَّه يُنبِئُ النَّاسَ بالغَيبِ والرَّسُول مَأمُور بدَعوَة الخَلقِ وتَبلِيغِهم رَسالَاتِ رَبِّهِ».

قال أبو العبَّاس القُرطُبي في المُفهِم لمَا أُشكِلَ مِن تَلخِيص كتاب مُسلِم (١/ ٤٣٤): «اختلف الناس في عصمة الأنبياء من الذُّنوب اختِلافًا كثيرًا. والذي ينبغي أن يُقَال: **إنَّ الأنبياء مَعصومُون مما يناقِض مَدلولَ المُعجِزَة عقلًا، كالكُفرِ باللهِ تعالىٰ، والكَذِب عليه، والتَّحرِيف في التَّبلِيغ والخَطَأ فيه**».

قال تعالىٰ: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۞ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:١- ٤].

وقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة:٦٧].

قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ۞ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۞ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۞ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة:٤٤- ٤٧].

وقَد يَنسَىٰ النَّبِيُّ بعدما يُبلِّغ، ولَكنَّه لَا يَستمِرُّ علىٰ نِسيانِه بل يتذكَّر بنَفسِه أو يُذكِّرُه غيرُه:

قال تعالىٰ: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ۞ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعلى:٦، ٧].

قال ابن جرير في تفسيره (٢٤ / ٣٧١): «فلا تَنسَىٰ إلَّا أن نشَاء نَحنُ أَن نُنسيكَهُ بنَسخِه ورَفعِه».

قال ابن حجر في فتح الباري (٩/ ٨٦): «وفي الحديث[١] حُجَّة لمَن أَجازَ النِّسيانَ علىٰ النبيِّ ﷺ فيمَا لَيس طَريقه البَلاغ مُطلقًا، وكذَا فيما طَريقُه البَلَاغ، لكن بشَرطَين: أحدُهما أنَّه بعد ما يقع منه تَبلِيغه. والآخر: أنَّه **لَا يَستمرُّ علَىٰ نِسيَانِه بل يَحصُل لَه تَذكُّره إمَّا بنَفسِه وإمَّا بغَيرِه**».

قال النَّوَوِي في شرح صَحِيح مُسلِم (٦/ ٧٦، ٧٧): «قال القاضي عِيَاض رَحِمَهُ اللَّهُ جمهور المُحقِّقِين جواز النِّسيَان عليه ﷺ ابتداءً فيما لَيس طِريقُه البَلاغ، **واختَلفُوا فِيما طَريقُه البَلاغ والتَّعلِيم، ولكِن مَن جوَّز قَال: لَا يُقر عَليه بَل لَابُدَّ أَن يتَذَكَّره أو يُذَكَّره**».

وذَلِك مثل حَدِيث أنَّ النَّبيَّ ﷺ صلَّىٰ الظُّهرَ رَكعَتَين وسَلَّمَ، وسَلَّمَ الصَّحَابَةُ خَلفه، ثمَّ قَال لَه ذُو اليَدينِ: أَقُصِرَتِ الصَّلَاةُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فقالَ لَهُ النَّبِيُّ أنَّه نَسِيَ.

فصَلَاة الظُّهر بلَّغَها النَّبي لأصحَابِه أنَّها تُصلَّىٰ أَربَع رَكعَاتٍ .

فلمَّا نَسِيَ وَصلَّاهَا رَكعتين لَم يَستَمِرَّ علَىٰ نِسيانِه بَل ذَكَّرَه الصَّحَابِيُّ بأَنَّه نَسِيَ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ «صَلَّىٰ بِنَا النَّبِيُّ ﷺ الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ قَامَ إِلَىٰ خَشَبَةٍ فِي مُقَدَّمِ الْمَسْجِدِ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا، وَفِي الْقَوْمِ يَوْمَئِذٍ أَبُو

---

(١) عن عائشة، قالت: سمع رسول الله ﷺ رجلًا يقرأ في سورة بالليل، فقال: «يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا، آية كنت أُنسِيتُها من سورة كذا وكذا» [البخاري ٥٠٣٨].

بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَهَابَا أَنْ يُكَلِّمَاهُ، وَخَرَجَ سَرَعَانُ النَّاسِ فَقَالُوا: قَصُرَتِ الصَّلَاةُ، وَفِي الْقَوْمِ رَجُلٌ كَانَ النَّبِيُّ صلىٰ الله عليه وسلم يَدْعُوهُ ذَا الْيَدَيْنِ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَنَسِيتَ أَمْ قَصُرَتْ؟ فَقَالَ: لَمْ أَنْسَ وَلَمْ تَقْصُرْ؟ قَالُوا: بَلْ نَسِيتَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: صَدَقَ ذُو الْيَدَيْنِ، فَقَامَ فَصَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ كَبَّرَ فَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَكَبَّرَ، ثُمَّ وَضَعَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَكَبَّرَ» **[البخاري ٦٠٥١]**.

وكذلك ماروي في قصة الغرانيق(١) فهي روايات ضعيفه ضعفها الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ وأفرد لها رساله تسمىٰ «نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق».



---

(١) عن سعيد بن جُبير، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ قرأها رسول الله ﷺ، فقال: تلك الغرانيق العلىٰ، وإن شفاعتهن لترتجىٰ. فسجد رسول الله ﷺ. فقال المشركون: أنه لم يذكر آلهتكم قبل اليوم بخير، فسجد المشركون معه، فأنزل الله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾... إلىٰ قوله: ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾. [تفسير الطبري ١٨ / ٦٦٦].

عصمة الأنبياء من الكبائر

قَال ابنُ تَيمِيَة في مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٣١٩): «فإنَّ القَولُ بأنَّ **الأنبياءَ مَعصُومون عن الكبَائر دونَ الصَّغائِر هُو قَول أكثَر عُلماءِ الإِسلَام وجَمِيع الطَّوائِف**، حتَّىٰ إنَّه قَول أَكثر أَهلِ الكَلام كمَا ذَكرَ «أبُو الحَسن الآمِدي» أن هذا قَول أَكثَر الأَشعَرِيَّة، وهُو أيضًا قَولُ أَكثَر أَهلِ التَّفسِير والحَدِيث والفُقهَاء بَل هُو لَم يَنقِل عَن السَّلَف وَالأَئمَّة والصَّحابَة والتَّابعِين وتَابِعيهِم إلَّا مَا يُوافِق هذَا القَول».

قال ابن تَيمِيَه في المُسودَّة في أصول الفقه (٧٧): «**الأَنبِيَاء مَعصُومون من الكبَائِر بإِجمَاع الأُمَّة إلَّا قَومًا لَا يُعتدُّ بخِلَافِهِم**».

قال تعالىٰ: ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [القصص:١٥، ١٦].

قَتلُ مُوسَىٰ لِلقبطِي - الرَّجل من آل فِرعَون - كَانَ قَبل النبوَّة، وكانَ قَتل خَطأ، لأنَّ الوَكزَه[١] في الغَالب لَا تَقتُل، فقَد أَرادَ مُوسَىٰ دَفع

(١) الوكزة: وكز يكز وكزًا إذا ضربه بجمع كفه. [تهذيب اللغه للأزهري (١٠ / ١٧٦) ولسان العرب لابن منظور (٥ / ٤٣٠) جمهرة اللغة لابن دريد (٢ / ٨٢٥) المصباح المنير للفيومي (٢ / ٦٧٠)].

ظُلمِه عَن الإِسرَائِيلِيِّ فقَتلَه، وإِنَّمَا استَعظَمَه واستَغفَر مِن ذَلِك الفِعل؛ لأنَّه لَم يؤمَر بقتلِه، وذَلِك لَا يَقدَح في مُوسَىٰ لكَونِه قَتل خطأ، وإنَّمَا استَغفَر لأنَّ الأَنبيَاء يُشفِقُون ممَّا لَا يُشفِقُ مِنه غَيرُهم وعَلَىٰ عَادَتِهِم في استِعظَام مُحقَّرَاتٍ فَرطَت مِنهُم.

قَال ابنُ تَيمِيَة في منهاج السنه (٢/ ٤٠٩): «ومَا أَعلَم أنَّ بَنِي إسرَائِيل قَدحُوا في نبيٍّ منَ الأنبياءِ بتَوبَتِه في أمر منَ الأُمورِ، وإنَّمَا كانُوا يَقدَحُون فيهِم بالافترَاء عليهِم كمَا كَانُوا يُؤذونَ مُوسَىٰ عليه السلام، وإلَّا فمُوسَىٰ قد قتل القِبطيَّ قبلَ النُّبوَّة، وتَاب مِن سُؤالِ الرُّؤيَة، وغير ذَلك بعدَ النُّبوَّة، ومَا أَعلَم أحدًا من بَنِي إِسرَائِيل قَدَح فِيه بمِثلِ هذَا».

قال القَسطَلاني[1] في إرشَاد السَّارِي في شَرح صحيح البُخارِي (١٠ / ٣٥٧): «ولَا يُقدَح في عِصمَتِه- أي: موسىٰ - لكَونِه خَطأ وَعدَه مِن عَملِ الشَّيطَانِ في الآيَة وسمَّاهُ ظُلمًا واستغفر منه علَىٰ عَادَتِهِم في استِعظَام مُحقَّرَاتٍ فَرَطَت مِنهُم».

قال القُرطُبِيُّ في تَفسِيره (١٣/ ٢٦١): «وإنَّمَا أَغاثَه - أي: مُوسَىٰ أَغَاث الإِسرَائِيلِي الذي من شِيعَتِه - لأنَّ نَصرَ المَظلُوم دِين في المِلَل كُلِّهَا... وإِنَّمَا قَتَل مُوسىٰ الذي قتل من آل فرعونَ خطأ».

---

(١) هو أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبدالملك القسطلاني القتيبي المصري أبو العباس شهاب الدين ولد سنة ٨٥١ هجريه وتوفي سنة ٩٢٣ هجريه من مصنفاته كتاب إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري وكتاب لطائف الإشارات في علم القراءات (الأعلام للزركلي ١ / ٢٣٢).

روىٰ مُسلِم في صحيحه (٢٩٠٥) قال رسول الله ﷺ: «وإِنَّمَا قَتلَ مُوسَىٰ الَّذي قتَل من آل فِرعَون خَطَأً، فقالَ اللهُ عزَّ وجلَّ له: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ [طه:٤٠].

قال الشَّوكَاني في فتح القدير (٤/ ٢١٦): «فإنَّ مُوسَىٰ ما زال نَادِمًا علىٰ ذلِك خَائفًا من العُقُوبَة بِسبَبِه حتَّىٰ إنَّه يَوم القِيامَة عندَ طَلَبِ الشَّفاعَة مِنه، يقُول: «إني قتلت نفسا لم أُومَر بقَتلِها» كما ثبتَ ذَلكَ في حديث الشَّفاعَة الصَّحِيح، والقَتل الوَاقِع منهُ لَم يَكُن عَن عَمدٍ، فَليسَ بِكَبيرَة لأنَّ الوَكزَة في الغَالِب لَا تَقتُل».

قال أبوعبدالله القرطبي[1] في تفسيره (١/ ٣٠٨): «واختلف العُلماء في هذا الباب هل وقَع من الأنبياء - صلوات الله عليهم أجمعين - صغَائِر منَ الذُّنُوبِ يؤَاخذُونَ بِها ويعَاتبُون عليها أم لا - بَعد اتِّفَاقِهم علَىٰ أنَّهم مَعصُومُون مِنَ الكَبَائِر ومِن كلِّ رَذِيلَة فيهَا شَين ونَقصٍ إجمَاعًا».



(١) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي أبو عبد الله القرطبي توفي سنة ٦٧١ هجريه من مصنفاته: كتاب الجامع لأحكام القرآن وكتاب التذكره بأحوال الموت وأمور الآخره وكتاب الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ (الأعلام للزركلي ٥ / ٣٢٢).

عِصْمَةُ الأَنْبِيَاءِ مِنَ الصَّغَائِرِ

قال ابن تَيمِيَة في جَامِع المَسائِل المَجموعه الرابعه (٤٠): «ولكِنْ تَنازَعُوا: هَل يقَع مِنهم بعضُ الصغَائِر معَ التَّوبَة مِنهَا أَو لَا يَقَع بحَالٍ؟

فقَال كَثِير منَ المُتكلِّمِينَ مِنَ الشِّيعَة والمُعتَزِلِين، وبَعضُ مُتكلِّمِي أَهلِ الحَدِيثِ: لَا يَقَع مِنهُم الصَّغِيرَة بحَالٍ، وزادَت الشِّيعَة حتىٰ قالوا: لَا يقَع مِنهُم لا خَطأ ولا غَير خَطأَ.

وأمَّا السَّلَف وجُمهُور أهلِ الفِقهِ والحَديثِ والتَّفسِير وجمهُور مُتكلِّمِي أهلِ الحَدِيث من أصَحابِ الأَشعَرِيِّ وغَيرُهم، فلَم يَمنعُوا الوُقُوع إذَا كانَ معَ التَّوبَة، كمَا دَلَّت عليهِ نُصُوص الكِتَاب والسُّنَّة، فإنَّ اللهَ يُحبُّ التَّوَّابِين ويُحِبُّ المُتطهِّرِينَ».

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٣٢٠): «**وعامَّة ما يُنقل عن جمهورِ العُلماء أنهم - أي: الأنبياء - غير مَعصُومِين عن الإِقرَار علىٰ الصَّغائر ولا يُقرُّون عَليها**، ولا يقُولُون: إِنَّها لا تَقَع بحَال، وأوَّل من نقَل عنهم من طَوائف الأُمَّة القَول بالعِصمَة مُطلقًا، وأَعظَمُهُم قولًا لِذلِك: الرَّافِضَة، فإنَّهم يقُولُون بالعِصمَة حتَّىٰ مَا يَقَع عَلىٰ سَبِيل النِّسيَان والسَّهو وَالتَّأوِيل».

قال ابنُ تَيميَة في مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٣٠٩): «فإنَّ الذَّمَّ والعقابَ الذي يَلحَق أَهلَ الذُّنُوب لَا يَلحَق التَّائِب مِنه شَيء أَصلًا؛ لكن إِن قَدَّم التَّوبَة لَم يلحقه شَيءٌ، وإن أَخَّر التَّوبَة فقَد يَلحَقُه مَا بَينَ

الذُّنُوب والتَّوبَة منَ الذَّمِّ والعِقَاب مَا يُنَاسِب حَالَه. **والأنبِيَاء - صلواتُ اللهِ عَلَيهِم وسَلامُه - كانوا لا يؤخِّرُون التَّوبة؛ بل يُسارِعُون إليهَا ويُسَابقُون إليها؛ لَا يُؤخِّرُون ولَا يُصرِّون علَىٰ الذَّنبِ بَل هُم مَعصُومُون مِن ذَلِك**».

قال ابنُ حَجَر في فتح الباري (٨/ ٦٩): «**الأنبِياءُ مَعصُومُون منَ الكَبائِر بِالإِجمَاع، واختُلِف في جَواز وُقُوعِ الصَّغَائِر**».

قال أبو العباس القُرطُبي(١) في المُفهِم لمَا أُشكِل مِن تَلخِيص كِتَاب مُسلِم (١/ ٤٣٤، ٤٣٥): «**ومَعصُومون - أي: الأنبياء - من الكَبَائر وعنِ الصَّغائِر التي تَزرِي بفاعِلِها، وتحطُّ مَنزِلَته وتُسقِط مُرُوءَتِه** إجمَاعًا عندَ القَاضِي أَبي بَكرٍ، وعندَ الأستَاذ أَبِي بَكرٍ أن ذَلِك مُقتضىٰ دَليل المُعجِزَة. وعِند المُعتَزلَة أنَّ ذلك مُقتَضىٰ دَلِيل العَقلِ علَىٰ أُصولِهِم.

واختَلفَ أَئمَّتُنا في وُقُوع الصَّغَائِر مِنهُم، فمِن قائِل: بالوقُوع، ومِن قَائل بمَنع ذلك. والقَول الوَسَط في ذلك: أنَّ اللهَ تعالَىٰ قَد أَخبَر بوقُوع

(١) هو أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر، الأنصاريّ الأندلسيّ القرطبي المالكيّ، ضياء الدين أبو العباس. الإمام الفقيه، المُحدِّث، المدرس، الشاهد بالإسكندرية. ولد سنة ٥٧٨ هـ في قرطبة وتوفي بالإسكندرية في ٤ ذي القعدة من عام ٦٥٦ هـ ودفن بها رحمه الله تعالىٰ ومن كتبه المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم وكتاب تلخيص صحيح مسلم وكتاب مختصر البخاري (انظر ترجمته في مقدمة التحقيق لكتاب المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ١ / ٣١ – ٤٠).

ذُنُـوب مِـن بَعضِـهِم ونَسبهَا إِلـيهِم وعَـاتَبهُم عَليهَـا، وأَخـبروا بهـا عـن نُفوسِهم وتَنصَّلُوا منهـا **واستَغفَروا وتَـابُوا**. وكـلُّ ذلـك ورَدَ في مَواضِـع كَثيرَة لا تَقبل التَّأوِيلاتِ بجُملَتِها، وإنْ قَبل ذَلِك آحَادُهَا.

لكنَّ الذِي يَنبغِي أن يُقَالَ: إنَّ الذي أُضِيف إِليهِم من الذُّنُوب لَيس مِن قَبِيل الكَبَائِر، ولَا مِمَّا يُزري بمَنَاصِبهِم علىٰ مَا تقدَّم، ولا كَثُر مِنهُم وقُوع ذلِك، وإنَّما تِلك الأُمُور التي وَقعَت مِنهُم، وعُوتِبوا عليها يَخِفُّ أَمرُها بالنِّسبَة إلىٰ غَيرِهم، وإنَّما عُدِّدَت عَليهِم وعُوتِبـوا عليهـا بالنِّسبَة إلىٰ مَنَاصِبهم وإلىٰ عُلُوِّ أَقدَارِهم؛ إذ قد يُؤاخَـذ الـوَزِير بمـا يُثابُ عَليهِ السَّـائِس، ولقـد أحسـنَ الجُنَيـد حيـث قـال: «حَسَنَاتُ الأَبـرَار سَـيِّئَاتُ المُقرَّبين»، فهُم وإن كانوا قَد شـهدت النُّصُـوص بوقُـوع ذنُـوب مِـنهم، فلَم يُخِلَّ ذَلك بمناصِبِهم، ولا قَـدَح ذلـك في رُتبتِهم، بـل قَـد تَلافَـاهُم واجتبَـاهم وهَـداهُم، ومَـدحَهُم وزكَّـاهُم واختَـارَهُم واصْـطَفَاهم - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - إلىٰ يومِ الدِّين - والكَلامُ علـىٰ هـذه المَسـأَلة تَفصـيلًا يسـتَدعِي تَطـويلًا، وفيمـا ذكرنـاه كفايَـة، والله الموفق للهداية».

وقَد استَدلَّ جُمهُور العُلمَاء عَلَىٰ وُقُوع الصَّغَائِر مـنَ الأنبيـاءِ عليهم السلام بعِدَّة أدلَّة، منها:

١- وُقُوع آدم عليه السلام في مَعصِيَة أَكلِه من الشَّجرَة التي نهاه الله عنها، قـال تعـالىٰ: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝١٢١ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه:١٢١، ١٢٢] وذَلكَ كانَ قَبل نُبوَّة آدَم.

٢- عَبَسُ النَّبِيِّ في وَجهِ ابنِ أمِّ مَكتوم قال تعالىٰ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾ [عبس:١- ٤].

- ويَنبغِي أن يُعلَم في هذا المَقام عدَّة أُمُور:

١- أنَّ الله تعالىٰ يُنبِّه رُسلَه علىٰ ما وقَع مِنهُم مِن مَعصِيَه ويُوفِّقُهم لِلمُبادَرَة لِلتَّوبه.

٢- أن الذُّنُوب لا تُنافي الكَمَال فلَا تكُون نَقصًا إِن تَاب التَّائبُ مِنهَا، والعَبدُ في كَثِير مِن الأَحيَان يكُون بعدَ تَوبَتِه مِن مَعصِيتِه خَيرًا مِنه قَبل وُقُوع المَعصِيَه، وذلك لِمَا يكُون في قَلبِه من النَّدَم والخَوف والخَشيَه من اللهِ تَعالَىٰ، ولِمَا يُجهِد بهِ نَفسَه منَ الاستِغفَار والدُّعَاء، ولمَا يقُوم بهِ منَ صَالِح الأعمَال، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢]، وقال تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان:٧٠].

وعن أنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «للهُ أشدُّ فرحًا بتَوبَةِ عَبدِه حينَ يتُوب إليهِ مِن أحدِكُم كَان علَىٰ رَاحِلَتِه بَأرْضٍ فَلَاة، فَانْفَلَتَتْ منهُ وعَليهَا طَعامُه وَشَرَابُه، فَأَيس مِنهَا، فأَتَىٰ شَجَرَة فاضْطَجَع في ظِلِّهَا وَقَد أَيِسَ مِن رَاحِلَتِه، فَبَينَا هُو كَذلَك إذَا هُو بِها قَائِمَةً عِندَه، فأَخَذ بخِطَامِها ثمَّ قَال مِن شِدَّة الفَرَح: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وأنَا رَبُّكَ أَخطَأ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ». (مسلم ٢٧٤٧)

وأَيضًا لَمَّا كان مَقامُ الأنبياءِ أَعلَىٰ كانُوا يَستغفِرون اللهَ من أشياءَ لَيستَ بذنُوبٍ، مثل النِّسيَان، فسُليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ لمَّا قال: لأَطُوفنَّ الليلةَ

علَىٰ سَبعِين امرَأه تَلِدُ كلٌّ مِنهُنَّ فَارِس يُقاتِل في سَبِيل اللهِ، ونَسِي أن يقُول إن شاءَ اللهُ؛ لَم تَلِدْ إلَّا امرأةً وَاحدَة مِنهُنَّ، وَلدَت نِصف إنسَان، فاستَغفرَ رَبَّه، وفي ذلك يقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى﴾ [ص:٣٤،٣٥] ألقينا علىٰ كرسِيِّه أي: جَعلنَا في مُلكِه، جسدًا أي نِصف إنسان، ولمَّا شَغَلَته الخَيل عن صلاة العَصرِ ونَسِيهَا وخَرجَ وَقتُها عَقَر الخَيلَ وأَنفَقَها في سَبِيل اللهِ، قال تعالىٰ: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص:٣٠-٣٤].



قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾

[يوسف:٢٤]

● ﴿هَمَّتْ بِهِۦ﴾ هَمُّ امرأةِ العَزيز فيه وَجهَان:

الأول: أنَّها عَزمَت علَىٰ فِعل الفَاحِشَه مَع يُوسُف.

الثَّانِي: أنَّهَا استَلقَت لَه.

والرَّاجح الوَجه الأوَّل؛ لأنَّها غلَّقَتِ الأبـوَاب، وقَالَـت: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف:٢٣] فقَد كَانَت عَازِمَه علىٰ فِعل الفَاحِشَه، أمَّا الوَجه الثَّاني فبَاطِل؛ لأنَّه مبنيٌّ علَىٰ رِوَايَات ضَعِيفَه وسَيَأتِي بيَانُها.

● ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ هَمُّ يُوسُف فيهِ وُجُوه:

الأوَّل: أنَّه حَدِيث نَفسٍ، أي: نَفسُه حَدَّثَتْهُ بأَن يقول لهَا قَولٌ مُحرَّم، أو يَنظُرُ إليهَا نَظرَةً مُحرَّمَه، أَو يُقبِّلُها، أي: حَدَّثتْه نَفسُه بِفعل مُقدِّمَاتِ الفَاحشَة.

الثَّاني: أنَّه تَحرُّك الشَّهوَات والغَرائِز الجَسدِيَّة لَدَىٰ الرِّجَال نَحوَ النِّساء.

الثَّالث: أنَّه عَزْمٌ وإِصرَار علىٰ فِعل الفَاحِشَة.

الرَّابع: أنَّه تَجرَّد مِن ثِيابِه وجَلَس بينَ رِجلَي امرَأة العزيزِ، ثمَّ رأَىٰ صُورَة يَعقُوب - أبِيه - في الحَائِط أوِ السَّقفِ، أو رَأىٰ يدًا لَيستْ في

جَسَد مَكتُوب عَليهَا آيَات مِنَ القُرآن، فلمَّا رأىٰ ذلك تركَ امرأةَ العزيزِ.

الخَامِس: أنَّه همَّ أن يَضربَها ويَدفعَها عن نفسِه ولكِن لَم يَفعَل، لأنَّ ذَلِك سيكُونُ حُجَّة عَليه؛ لأن امرأةَ العزيز ستقُولُ أَردتُ دَفعَه عَن نَفسِي عِندمَا أَرادَ قَهرِي علىٰ فِعلِ الفَاحِشَه فضَربَنِي.

السَّادِس: أنَّه علىٰ التَّقدِيم والتَّأخِير، أي: التَّقدِير: (لَولَا أَن رَأَىٰ بُرهانَ ربِّه لهَمَّ بِها)، وأنَّ جَوابَ الشَّرطِ وهُو قَولُه: ﴿هَمَّ بِهَا﴾ انتَفَىٰ لوجُود الشَّرط، وهو قوله تعالىٰ: ﴿أَن رَأَىٰ بُرهانَ ربِّه﴾، أو يُقَال أن: ﴿هَمَّ بِهَا﴾ دَلِيل جَواب الشَّرط، وجَوَاب الشَّرطِ مَحذُوف تَقدِيرُه ﴿هَمَّ بِهَا﴾، أي: التَّقدِير: (همَّ بها لَولَا أَن رَأَىٰ بُرهَان ربِّه لَهَمَّ بِها)، وفي الحَالَين سَواء قُلنَا أنَّ: ﴿هَمَّ بِهَا﴾ جَواب شَرط، أو دَلِيل جَواب الشَّرط فيُوسُف لَم يَحدُث مِنه (هَمٌّ).

- **والرَّاجِح الوَجه السَّادِس** أمَّا الوجُوه الأخرَىٰ مَردودَه، وإِليكَ بيَانُ ذَلِك:

- **الرد علىٰ الوجه الأول:** أنَّه لَو حدَّثتهُ نَفسُه بشَيءٍ مِن مُقدِّمات الفَاحِشَة لاستَغفَر ربَّه، والدَّلِيلُ علَىٰ ذَلِك أنَّ سُليمَان عَلَيْهِ السَّلَامُ عِندمَا شَغلتْه الخَيلُ عن صلاةِ العَصر ونَسيهَا، وصلَّاها بعدَمَا خَرَج؛ وَقتُها ذَبح الخَيل وأَنفقَهَا في سبيل اللهِ، رَغم أنَّ النِّسيَان ليس بذَنبٍ، وأيضًا عندما قال سُليمَان عَلَيْهِ السَّلَامُ لأَطُوفنَّ الليلَة علىٰ مِائة امرَأَة[1] تَلِد كلُّ

---

(١) عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «قال سليمان بن داود نبي الله: لأطوفن الليلة علىٰ سبعين امرأة، كلهن تأتي بغلام يقاتل في سبيل الله، فقال له=

واحدةٍ مِنهنَّ غُلَام يقاتِل في سبيلِ اللهِ، ونَسِي أن يقول: إن شاء الله، لم تَلِد إلَّا واحدةٌ مِنهُنَّ، ولدَت نصفَ إنسانٍ، قال الله تعالىٰ في ذلك: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى ﴾ [ص:٣٤، ٣٥] ألقَينا علىٰ كُرسِيِّه جسدًا أَي: ألقينا في مُلكِه نِصفَ إِنسَان؛ لأنَّه نَسِي أن يَقُول: إِن شاءَ اللهُ ورغم ذلك استَغفَر سُليمان، وأيَضا النبي ﷺ كان يَعدِل بين نِسائِه في النَّفقَه وكل شيءٍ إلَّا أنه كان يُحبُّ بَعضَهنَّ أكثَر مِن الأُخرَىٰ فكانَ يقُول: «اللَّهُمَّ هَذَا قَسَمِي فِيمَا أَمْلُكُ، فَلَا تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلُكُ»(١)، فالنبيُّ يَسألُ ربَّه أن لا يُؤاخِذه في حبِّ بعضِ نِسائه أَكثَر مِن بَعضٍ رَغم أنَّه أمرٌ جِبلِّي فِطرِي. فلَو حَدَّث يُوسُف نَفسَه بشيءٍ أو تَحرَّكَت شَهوَاتُه وغَرائِزُه - فتحرُّك الشَّهوَات والغرَائز أمرٌ جِبلِّي فِطرِي - لاستَغفَر ربَّه.

وأيضًا لمَّا أبىٰ النَّبي ﷺ أن يقتل أسرَىٰ بدر، وكان رَأي عمرُ أن يُقتَل أسرَىٰ بَدر، ونزَل كَلَام اللهِ مُوافِق لرَأي عُمَر بكَىٰ النَّبي ﷺ، رغمَ أنَّ المَسأَله اجتهادِيَّه، ولَم يَكُن نزَل فِيهَا وَحيٌ، فالله سبحانه وتعالىٰ لامَ نبيَّه في أسرَىٰ بدرٍ في تركِ الأَولَىٰ، وكذَلك يُوسُف لو حدَّثته نَفسُه

=صاحبه - أو الملك -: قل: إن شاء الله، فلم يقل ونسي، فلم تأت واحدة من نسائه إلا واحدة جاءت بشق غلام، فقال رسول الله ﷺ: «ولو قال: إن شاء الله، لم يحنث، وكان دركًا له في حاجته» وفي رواية: «لأطوفن الليلة علىٰ مائة امرأه» [صحيح البخاري ٥٢٤٢ وصحيح مسلم ١٦٥٤].

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين للحاكم (٢٧٦١) وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم، ولم يخرجاه».

بشئ أو تحرَّكت شَهواتُه وغرائزُه للامَه اللهُ علىٰ ذَلِك، فلمَّا لَم يَلمْه دلَّ علىٰ أنَّه ما وقَع مِن ذَلك شئٌ.

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِ﴾ [الأحزاب:٣٠] ذلِك لأنهنَّ أزواج النَّبيِّ ﷺ فهُنَّ قُدوَه لغَيرِهنَّ لذَلِك إذَا أَتينَ بفَاحِشَه يُضاعَف لهُنَّ العَذَابُ ضِعفَين، ذَلِك لأن حَسنَات الأَبرَار سَيِّئَات المُقرَّبين، فالأَعلَىٰ رُتبَه يَستَحِقُّ العِقَاب لمُقابَلَتِه أَعظَم النِّعَم بِالمَعصِيَه، ولِذَلِك حدُّ الحُرِّ ضِعف حدِّ العَبدِ، والمُحصَن يُرجَم وغَيرُه يُحَدُّ، وقال تعالىٰ في شَأنِ نِساءِ النَّبي ﷺ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب:٣٢]، وقال تعالىٰ: ﴿مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِ﴾، وعن سعد بن أبي وقاص قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَىٰ الرَّجُلُ عَلَىٰ حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَىٰ حَسَبِ دِينِهِ»[(١)]، وعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا؟ قَالَ: «أَجَلْ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ» قُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ قَالَ: «أَجَلْ»[(٢)].

الرد علىٰ الوجه الثاني: أن تَحرُّك الشَّهوَات والغَرائِز الجَسديَّه لَا

---

(١) أحمد (١٦٠٧)، الترمذي (٢٣٩٨) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١ / ٢٧٣).

(٢) البخاري (٥٦٤٨).

يُعاقَب عليهِ؛ لأنَّه خارج عن إرادَتِه فهو شيء جِبلِّي فِطرِي في الإنسان، كمَا يَحدُث لِلصائِم في اليومِ الشَّديدِ الحرِّ عِندَما يَنظُر إلىٰ المَاءِ البَارِد، فإنَّ نَفسَه تَميل إليهِ ثمَّ يَمنَعُه منَ شُربِ المَاء تَقوَاه، كذَلِك يُوسُف مَالَت نَفسُه وغَرائِزُه الجَسديَّه نَحو امرَأة العَزيزِ، ولكِنْ تَقوَاه وخَشيتُه للهِ مَنعَته مِن فِعلِ أَو قَولِ شيءٍ يُغضِبُ اللهَ... كذَا قالَ بَعضُ العُلماءِ، والَّذِي أَراهُ (محمود) أنَّ يُوسُف لَم تَتحرَّك شَهوَاتُه وغَرائزُه إذ لَو حَدثَ ذَلِك لاستَغفَر ربَّه؛ لأنَّ حَسنَات الأَبرَار سِيِّئات المُقرَّبين.

الرد علىٰ الوجه الثالث: أنَّ الوَجه الثَّالث مُترَتِّب علىٰ الوَجه الثَّاني، فإنَّ العَزمَ والإِصرَار علَىٰ فِعل الفَاحِشَة مُتَرتِّب علىٰ تَحرُّك الشَّهوَات والغَرائِز الجَسديَّة، فإذَا لَم تَتحرَّك لَم يَعزِم علَىٰ فِعل الفَاحِشَة.

والرَّدُّ علىٰ الوَجهِ الأوَّل والثَّاني والثَّالث هُو: أنَّه لَو وَقَع مِنه شيء مِن ذَلكَ لاستَغفَر ربَّه.

الرد علىٰ الوجه الرابع: مِن وُجُوه:

الأوَّل: أن تَجرُّدَه مِن ثيَابِه وجُلُوسَه بينَ رِجلَي امرأةِ العَزيزِ مُترَتَّبٌ علَىٰ العَزمِ والتَّصمِيم علىٰ فعلِ المَعصِيَه فإذَا انتَفَىٰ العزمُ والتَّصمِيمُ انتفَىٰ تَجرُّدُه مِن ثِيابِه وجُلُوسه بَين رِجلَي امرَأةِ العَزيزِ.

الثاني: أن ذلك مَبنيٌّ علىٰ رِوايَات ضَعِيفَه، وإن صَحَّت تِلك الرِّوايَات فهِي مَأخُوذَه من كُتبِ أهلِ الكتَاب المُحرَّفَه، ولَا يُوجَد مِنهَا رِوَايَة مَرفُوعةٌ إلىٰ النَّبي ﷺ صَحِيحَة أو ضَعيفَة.

الثَّالث: أن ذَلك إذَا فَعلَه أَفجَر الفُسَّاقِ، أي: إذا تَجرَّد رَجلٌ فاسِق مِن ثيَابِهِ وقَعدَ بينَ رِجلَي امرَأة ثمَّ نظرَ إلَىٰ صُورَة أَبيهِ فِي الحَائِط أو نَظرَ إلىٰ كفٍّ بدُون جَسَدٍ لارتَعَب وتَركَ المَرأَة، فأي فضِيلَة له في ذلك وكَيف يُمدَح ؟! أمَّا يُوسُف فقَد مَدحَهُ اللهُ فقال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٤] فدلَّ ذلك علىٰ أنَّه لم يتجرَّدْ من ثِيابِهِ، ولمْ يَقعُد بينَ رِجلَي امرَأَة العَزِيز.

الرَّابع: أن ذلك لَا يتوافَق معَ سيَاقِ الآيَات التي فِيهَا الثَّناء علَىٰ يُوسُف بقَولِه تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾.

والرَّدُّ علىٰ الوَجه الخَامِس: أنَّ ذلك يُخَالِف سيَاقَ الآيَات، فالآيَاتُ لَيسَ فِيهَا مَا يُشيرُ إلىٰ أنَّه أَرادَ أَن يَضربهَا فَالآيات: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٤] فأينَ مَايُشيرُ إلَىٰ أنَّه أَرادَ ضَربهَا؟

والوجه الراجح هو الوجه السادس: وهُو أنَّه علَىٰ التَّقدِيم والتَّأخِير، أي: (لَولَا أَن رَأىٰ بُرهَان ربِّه لَهَمَّ بِهَا) انتَفَىٰ الهَمُّ لِرُؤيَتِه بُرهَان ربِّه، أي: لَم يَحدُث مِنه همٌّ البتَّة، أو يُقَال: ﴿هَمَّ بِهَا﴾ دَليل جَواب الشَّرط وفي الحَالَينِ لَم يَحدُث مِنه (هَمٌّ) وهذَا مَا سَنُبيِّنُه إن شاءَ اللهُ تعالىٰ، ونَسأَله سُبحانَه أَن يُوفِّقَنَا لمَا فِيهِ رِضَاهُ.

۞۞۞

قال تعالى:

﴿ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾

[يوسف:٢٤]

إِعرَابُ الآيَة

﴿ وَلَقَدۡ ﴾: (الواو) حَرف جرٍّ وقَسَم مَبنِي علىٰ الفَتح، و(اللام) وَاقِعه في جَواب القَسَم، والمُقسَم به مَحذوف تَقدِيره (الله)، و(قد) حَرف تَحقِيق.

﴿هَمَّتۡ ﴾: (هَمَّ) فِعل ماضٍ، والتَّاء حَرف تَأنِيث، والفَاعِل ضَمِير مُستَتِر تَقدِيرُه (هِيَ) يعُود إلىٰ امرَأةِ العَزيز.

﴿بِهِۦ﴾: البَاء حَرفُ جرٍّ، والهَاء ضَمِير مَبنِي علىٰ الكَسر في محل جر، وجُملَة (هَمَّت بِه) جُملَة جَواب القَسَمْ.

﴿وَهَمَّ ﴾: (الوَاو) حَرف استِئنَاف، وابتِدَاء، (هَمَّ) فِعل مَاضٍ، والفَاعِل ضَمِير مُستَتَر تَقدِيرُه هُو عَائِد إلىٰ يُوسُف.

﴿بِهَا﴾: (البَاء) حَرف جَرٍّ، و(ها) ضَمِير مَبنِي في مَحلِّ جَرٍّ.

﴿لَوۡلَآ ﴾: حَرف امتِنَاع لوُجُود، أي: امتِنَاع جُملَة جَوابِ الشَّرط لوجُود جُملَة الشَّرط.

﴿أَن ﴾: حَرفُ مَصدَرِي ونَصب.

﴿رَّءَا ﴾: فِعل مَاضٍ مَبنِي عَلَىٰ الفَتح المُقدَّر مَنَع مِن ظُهورِه

التَّعذُّر، والفَاعِل ضَمِير مُستَتِر تَقدِيرُه (هُوَ) عَائِد إلَىٰ يُوسُف، و(أَنْ رَأَىٰ) المَصدَر المُؤَوَّل في مَحلِّ رَفع مُبتَدَأ، خَبَرُهُ مَحذُوف وُجُوبًا تَقدِيرُه مَوجُود.

﴿بُرۡهَـٰنَ﴾: مَفعُول بهِ.

﴿رَبِّهِۦ﴾: (رَب) مُضافٌ إِليهِ أوَّل، والهَاء ضمير مبني في محل جر مُضاف إِليهِ ثَانٍ.

جُملة ﴿أَن رَّءَا بُرۡهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ جُملَة الشَّرط، وهذا لا إِشكَال فيهِ، ولكِنَّ الإشكَالَ في جُملَة جَواب الشَّرطِ، فبَعض العُلمَاء قدَّر جُملَة جَواب الشَّرط مَحذُوفَه، تَقدِيرُها (لَزنَا بِهَا) فقَدَّرُوا الآية: (هَمَّ بِها لَولَا أَنْ رَأَىٰ بُرهَان ربِّهِ لَزنَا بِهَا)، وهذَا بَاطِلٌ؛ لأَنَّه مَبنِيٌّ علىٰ الرِّوايَات الضَّعيفَة في كُتُب التَّفسير، وإِن صحَّت فهِي مَأخُوذَه مِن كُتُب أَهلِ الكِتَاب المُحرَّفَة، التي فِيهَا أن يُوسُف تَجرَّد مِن ثيَابِه وجَلس بينَ رِجلَي امرَأَة العَزِيز ثمَّ رَأىٰ صُورَة يَعقُوبَ أبيهِ في الحَائِط أو السَّقفِ، أو رأىٰ يدًا لَيسَت في جَسدٍ مكتُوب عَليهَا آياتٌ منَ القُرآنِ فَلمَّا رَأَىٰ ذَلِك تَرَك امرأَةَ العزِيز، ولَم يَفعَلْ مَعهَا الفَحشَاء.

(الوَاو) في قولِه تعالىٰ: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾: (واو) الاستِئنَاف وَالابتِدَاء، لوُجُوه:

١- لأَنَّنا إن قُلنَا إِنَّها (وَاو) العَطف فسنُدخِل جُملَة القَسَم ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦ﴾ في جُملَة الشَّرطِ، وتُصبِح الجُملَة هكَذَا: (لَولَا أَن رَأَىٰ بُرهَان رَبِّه لَهمَّت بِهِ وهَمَّ بِهَا) وهذا مُمتَنِع لأن امرأَةَ العزيزِ رَاوَدتهُ

وغَلَّقتِ الأَبوَاب، وقَالَت: هَيتَ لَكَ، فكَيفَ يُقَال: إِنَّها لَم يَحدُث مِنهَا هَمٌّ.

٢- جُملَة الشَّرط الفِعل فِيهَا ﴿رَّءَا﴾، أي: (رَأَىٰ هُو)الفَاعِل الضَّمِير المُستَتِر عَائِد إِلَىٰ يُوسُف، قال تعالىٰ: ﴿رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ ولَم يقُل رَأيَا بِأَلِف الاثنين فدلَّ ذلك علىٰ أن جَواب الشَّرط مُتعلِّق بيُوسُف دونَ المَرأَة.

٣- همُّ امرَأةِ العَزيزِ مُؤكَّد بوَاوِ القَسَم واللَّام وقَد والمُقسَم بهِ المَحذُوف، وهِي مُؤكَّدَات تَدلُّ علَىٰ أنَّ امرَأةَ العَزيزِ قَد حَدثَ مِنهَا هَمٌّ.

٤- أن اللهَ لَم يقُلْ: (ولَقد همَّا بِبعضِهمَا)، ولكن فرَّق بينَ هَمِّ امرأةِ العَزيزِ وهمِّ يُوسُف، فقَال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾.

قد يُعترض علىٰ ذلك ويُقال أنَّه يُوجد في المصحَف علامَة وَقف (ۖ) التي تعني أن الوَقف جَائِز والوَصل أولَىٰ علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾.

الجواب: أن علامَات الوَقفِ في المُصحف من اجتِهَاد العُلمَاء وليسَت تَوقِيفيَّه ولا يَجب الالتِزام بها وجوبًا شًرعيًّا ما لم يتعَمَّد القَارِئ وَقف يُفسِد المَعنَىٰ أو بدَايَة تُفسِدُه.

جُملَة جَواب الشَّرط فيها إشكَال بين النُّحاةِ وهُو أينَ جُملَة جَواب الشَّرط[1].

---

(١) ابن جرير الطبري قال بأن جواب الشرط لا يتقدم علىٰ أداة الشرط، وقد=

فعلَىٰ قَولِ نُحاة الكُوفَة ومِن نُحاةِ البَصرَة أبِي زَيدٍ الأنصَارِي وأبي العبَّاس المُبرِّد جَواب الشَّرط تقدَّم علَىٰ حرفِ الشَّرطِ، وهو قولُه: ﴿هَمَّ بِهَا﴾.

قال أبوحيَّان الأندَلُسِي في البَحر المُحِيط (٦/ ٢٥٧- ٢٥٨): «﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ طوَّل المُفسِّرون في تَفسِير هذين الهمَّينِ، ونسبَ بَعضُهم ليُوسُف ما لا يَجُوز نِسبَتُه لآحادِ الفُسَّاق. والذي أخْتَارُه أنَّ يُوسُف عَلَيْهِ السَّلَامُ لَم يقَع مِنه همٌّ بها البتَّة، بل هو مَنفي لوجُود رُؤيَة البُرهَان كما تقُولُ: لقَد قَارَفت لَولَا أَن عَصمَكَ اللهُ، ولا تقُولُ: إنَّ جوَابَ (لولَا) مُتقدِّم عَليهَا وإن كان لا يقُوم دليلٌ علىٰ امتِنَاع ذلك، بل **صَرِيح أَدوَات الشَّرط العَامِلَة مُختَلَف في جوازِ تَقدِيم أَجوبتَهَا عَليهَا، وقَد ذَهَب إلَىٰ ذَلِك الكُوفِيُّون، ومن أَعلَام البَصرِيين أَبُو زَيد الأنصَارِي، وأَبُو العبَّاس المُبرِّد**. بل نقُول: أن جواب (لَولَا) مَحذُوف لِدلَالَة مَا قبلَه عَليهِ، كمَا تقُول جُمهُور البَصرِيِّين في قولِ العَرَب: أنتَ ظَالِمٌ إن فَعلتَ، فيُقدِّرونَه: إنْ فَعلتَ فأَنتَ ظَالِمٌ، ولَا يدلُّ قوله: أَنتَ ظَالِم علىٰ ثُبُوت الظُّلمِ، بل هو مُثبَت علَىٰ تَقدِير وُجُود الفِعل. وكَذلِك هنا **التَّقدِير: لَولا أَن رَأىٰ بُرهانَ رَبِّه لهمَّ بِهَا، فكانَ مُوجدًا الهَمَّ علَىٰ تَقدِير انتِفاء رُؤيَة البُرهَان، لكِنَّه وُجِد رُؤيَة البُرهَان فانتَفَىٰ الهَمُّ**» انتهىٰ.

«وإِن تقدَّم علَىٰ أَداة الشَّرطِ شَبيه الجَواب فهُو دَليلٌ عَليهِ، ولَيس

=اعتمد في ذلك علىٰ قول الخليل ويونس وسيبويه.

إيَّاه هذَا مَذهَب جُمهُور البَصرِيين وذَهَب الكُوفِيُّون والمُبرِّد وأبُو زَيد إلَىٰ أنَّه الجَوابُ بنَفسِه»[١].

فمَعنىٰ الآية: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾ انتهَت الجُملَة، ثمَّ تَبدَأ جُملَة جَديدَة مُستَأنَفة، وهي: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ ومَعنىٰ الجُملَه: (لَولَا أَن رَأَىٰ بُرهَانَ رَبِّهِ لَهَمَّ بِهَا).

﴿لَوْلَآ﴾: حَرفُ شَرطٍ.

﴿أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾: جُملَة الشَّرطِ.

﴿هَمَّ بِهَا﴾: جُملَة جَواب الشَّرطِ.

(لولا) حَرف امتِنَاع لوُجُود، أي: امتِنَاع جُملَة جَوابِ الشَّرط لوجُود جُملَة الشَّرط، أي: امتِنَاع (هم بها) لوجُود رؤية برهان ربه.

نَأتِي إلىٰ إشكَال جمهور نُحاة البصرَة؛ وهو أنَّهم لا يُجيزُون أن تتقدَّم جُملَة جَواب الشَّرط علىٰ حرفِ الشَّرطِ فيُقدِّرونَ جَواب شَرطٍ دلَّ عليهِ مَا قبلَه.

فيقُولُون: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ تقديره: (هَمَّ بِها لَولَا أَن رَأَىٰ بُرهَانَ رَبِّه لَهَمَّ بِهَا)، فجُملَة﴿هَمَّ بِهَا﴾ التي قبل ﴿لَوْلَآ﴾ لَيست جَواب الشَّرط ولكنَّها دَليل جَواب الشَّرط فيُعرِبُون الآية:

﴿لَوْلَآ﴾: حَرف شَرط.

﴿أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾: جُملَة الشَّرط

---

(١) حاشية الصبان علىٰ شرح الأشموني علىٰ ألفية ابن مالك (٤ / ٢٢- ٢٣).

وجُملَة جَواب الشَّرط مَحذُوفَة دلَّ عَليهِ مَاقَبل (لَولَا) وهُو قَولُه تَعالَىٰ: ﴿هَمَّ بِهَا﴾ .

نذكر أولًا قولَ نُحاة الكُوفة، ومِن نُحاة البَصرَة أبِي زَيد الأنصاري، وأبي العبَّاس المُبرِّد الذين قَالُوا بأنَّه يجُوز تقدُّم جَواب الشَّرطِ علىٰ أداة الشَّرطِ.

واستدلوا بأَدلَّة :

- تَقُول العَربُ: (أَنْتَ ظَالِمٌ إِنْ فَعَلْتَ).

إن : حرفُ شَرطٍ

فَعَلْتَ: جُملة الشَّرط.

أَنْتَ ظَالِمٌ: جُملَة جَواب الشَّرطِ.

أي: إنْ فَعلتَ فَأنَت ظَالِمٌ.

- قال تعالىٰ: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة:١١٢]

إنْ : حَرفُ شَرطٍ.

كُنتُم مُؤمِنِين : جُملَة الشَّرط.

اتَّقُوا اللهَ : جُملَة جَواب الشَّرط.

أي: إن كُنتُم مُؤمِنِين فاتَّقُوا اللهَ.

- قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]

إنْ : حَرفُ شَرط.

كُنتُم مُؤمنِين : جُملَة الشَّرط.

عَلىٰ اللهِ تَوكَّلُوا : جملة جواب الشرط

أي: إِن كُنتُم مُؤمِنين فعَلَىٰ اللهِ توكَّلُوا.

● قال تعالىٰ: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾

[القصص:١٠]

لَولَا: حَرفُ شَرطٍ.

أَن رَبطنَا علَىٰ قَلبِها : جُملَة الشَّرط.

كَادَت لَتُبدِي بِهِ: جُملَة جَواب الشَّرط.

أي: لَولَا أَنْ رَبطنَا علَىٰ قَلبِها لكَادَت تُبدِي بِهِ.

● قال تعالىٰ: ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾

[الفرقان:٤٢]

لَولَا: حَرفُ شَرطٍ.

أَن صَبرنَا عَليهَا: جُملَة الشَّرط.

كادَ لَيُضلُّنَا عَن ءالِهَتِنا : جُملَة جَواب الشَّرط.

أي: لَولَا أَن صَبرنَا عَليهَا لكَادَ يُضلُّنا عن آلِهتِنا.

● قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:٤٣]،

لَولَا : حَرفُ شَرطٍ.

أَن هَدَانَا اللهُ : جُملَة الشَّرط.

مَا كُنَّا لنَهتدِي : جُملَة جَوابِ الشَّرط.

أي: لَولَا أَن هَدَانَا اللهُ مَا كُنَّا لِنَهتَدِي.

• قال رؤبة بن العجاج[١]:

يـا حكـم الـوارث عـن عبـد أوديت إن لم تحب حبو المعتنك[٢]

إِن: حَرف شَرط.

لَم تحب : جُملَة الشَّرط .

أَودَيتَ : جُملَة جَوابِ الشَّرط.

أي: إِن لَم تُحِب أَودَيت.

• قال زهير بن مسعود (شاعر جاهلي) :

فلم أرقه إن ينج منها وإن يمت الملـك فطعنـة لا غـس ولا بمغمـر[٣]

إن : حَرف شَرط.

يَنجُ مِنهَا : جُملَة الشَّرط.

فَلم أَرقَه : جُملَة جَوابِ الشَّرط.

أي: إِن يَنجُ مِنهَا فلَم أَرقَه

• قالَ الشَّاعرُ في ديوَان الحمَاسَة:

حَضَأَتْ لَهُ نَارِي فَأَبْصَرَ ضَوْءَهَا وَمَا كَادَ لَوْلَا حَضْـأَةُ النَّارِ يُبْصِـرُ

(وَمَا كَادَ لَـوْلَا حَضْـأَةُ النَّـارِ يُبْصِـرُ) أي: ماكـادَ يُبصِـر لـولَا حَضأة

---

(١) شاعر أموي يحتج بشعره في النحو والصرف واللغه.

(٢) (المعاني الكبير في أبيات المعاني ٢ / ٨٧٠) لابن قتيبة الدينوري.

المعتنك البعير الذي يقطع العانك وهي الرملة الضخمة وربما حبا فيها الجمل وعليه حمله حتىٰ يقطعها فيشتد عليه المشي فيها فيبرك علىٰ ركبتيه ثم يعتمد، فيقول: أوديت إن لم تعتمد في حاجتي كاعتماد هذا البعير في العانك.

(٣)لسان العرب (٦ / ١٥٤).

النَّار، أي: لَولَا حَضأَة النَّار مَاكادَ يُبصِر.

(لَوْلَا): حَرفُ شرطٍ.

(حَضْأَةُ النَّارِ): جُملَة الشَّرط.

(مَا كَادَ يُبْصِرُ): جُملَة جَواب الشَّرط.

- مَعنَىٰ (حَضأت النَّار): أي رَفعَتها وهيَّجَتها.

أي: لَولَا رَفعَت وهيَّجَت لَه نَارِي مَا كادَ يُبصِر الطَّرِيق؛ لأنَّ نَارِي بَيَّنَت وأَظهَرت لَه الطَّرِيق الَّذي يَمشِي فِيهِ.

وقَد يُعترَض عَلىٰ ذَلِك بأنَّه إذا كان ﴿هَمَّ بِهَا﴾ جَواب شرطٍ؛ فِلِمَ لَم يَقترِن بِهِ حَرف اللَّامِ[(١)].

فَالجَواب: أنَّ ذلك غيرُ وَاجب، فقَد يَرِدُ جَوابُ الشَّرط مَحذُوف منه حَرف اللَّام مثل قوله تعالىٰ: ﴿لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا﴾ [الواقعة:٧٠]، (جعلناه) جَواب شَرط حُذف مِنه حَرف اللَّام.

● وقال رسول الله ﷺ: «وَاللهِ لَوْلاَ اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا»[(٢)]، فقَولُه: (مَا اهتَدينَا) جواب شَرط حُذف مِنه حَرف اللَّام.

---

(١) قال السمين الحلبي في تفسيره (٦ / ٤٨٦): والزجاج لم يرتض هذه المقالة، أعني كون قوله: «لولا» متعلقة ب «هم بها» فإنه قال: «ولو كان الكلام» ولهم بها «لكان بعيدا، فكيف مع سقوط اللام» ؟ يعني الزجاج أنه لا جائز أن يكون «وهم بها» جوابا ل «لولا» ؛ لأنه لو كان جوابها لاقترن باللام لأنه مثبت، وعلىٰ تقدير أنه كان مقترنا باللام كان يبعد من جهة أخرىٰ وهي تقديم الجواب عليها.

(٢) (البخاري ٤١٠٤).

• قَال كُثِير عَزَّة:

رُهْبَانُ مَدْيَنَ وَالَّذِينَ عَهِدْتُهُمْ يَبْكُونَ مِنْ حَذَرِ العَذَابِ قُعُودَا

لَوْ يَسْمَعُونَ كَمَا سَمِعْتُ كَلَامَهَا خَرُّوا لِعَزَّةَ رُكَّعًا وَسُجُودَا

(خَرُّوا) جوَاب شَرط حُذفَ مِنه حَرف اللَّام.

• وقالَ الشَّاعر في ديَوان الحمَاسَة (إبرَاهِيم بن هرمة)[١]:

لَولا بَنو جُشَمِ بنِ بَكرٍ فيكُمُ رُفِعَت خِيامُكُمْ بِغَيرِ قِبابِ

(لَوْلَا): حَرف شَرط.

(بَنو جُشَمِ بنِ بَكرٍ): جُملة الشَّرط.

(رُفِعَت خِيامُكُمْ بِغَيرِ قِبابِ): جُملة جَواب الشَّرط حذفَ مِنها حَرف اللَّام.

(١) هو أبو اسحاق ابراهيم بن هرمه وهو اخر من يحتج بهم من الشعراء فهو من الشعراء المخضرمين بين الدوله الأمويه والعباسيه فالشعراء الذين يحتج بهم في النحو والصرف واللغه هم الذين كانوا قبل سنة ١٣٢هجريه أي شعراء العصر الجاهلي وصدر الاسلام والأموي أما شعراء العصر العباسي ومن بعدهم فلا يحتج بشعرهم في النحو والصرف واللغة لأن الدوله العباسيه استعانت بالعجم في اسقاط الدوله الأمويه وذلك سنة ١٣٢ هجريه ودخل العجم الىٰ بلاد العرب واختلط العجم بالعرب فدخلت اللكنة والعجمة علىٰ اللسان العربي فأصبح العرب يخطئون في نطق اللغة العربية فأبوالطيب المتنبي رغم أنه فارس الكلمه لا يحتج بشعره في النحو والصرف واللغه لأنه كان في عصر الدوله العباسيه بعد اختلاط العرب بالعجم ولكن يحتج به في البلاغه فالجميع يحتج بهم في البلاغه أي من كان في العصر الجاهلي إلىٰ يومنا هذا يحتج به في البلاغه.

• قالَ الشَّاعر في ديوان الحمَاسَة (جواس الكلبي)[١]:

بجابيةِ الجولانِ لَولَا ابْنُ بَحْدَلِ هلكْتَ وَلَمْ يَنْطِقْ لِقَوْمِكَ قَائِلُ

(لَوْلَا): حَرف شَرط.

(ابْنُ بَحْدَلِ): (ابنُ) مُبتَدأ (بَحْدَلِ) مُضَاف إِلَيه، وخَبر المُبتدأ مَحذُوف وُجوبًا، تَقدِيرُه (مَوجُود)، وجُملَة (ابْنُ بَحْدَلِ مَوجُودٌ) جُملَة الشَّرط.

(هلكْتَ): جُملة جَوابِ الشَّرط، وقَد حُذف حَرفُ اللَّام مِن جُملَة جوابِ الشَّرط.

• قَال شَاعِر دِيوَان الحمَاسَة (قَيس بن الخَطِيم الأَوسِي)[٢]:

طَعَنْتُ ابْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ طَعْنَةَ ثائِرٍ لَهَا نَفَذٌ لَوْلَا الشُّعَاعُ أَضَاءَهَا

(لَوْلَا): حَرف شَرط.

(الشُّعَاعُ): مُبتَدأ خَبرُه مَحذُوف وجُوبًا، تَقدِيرُه (مَوجُود)، وجُملَة (الشُّعَاع مَوجُود) جُملَة الشَّرط.

(أَضَاءَهَا): جُملَة جَواب الشَّرط، وقَد حُذف مِنهَا حَرفُ اللَّام.

فإذَا كان يجُوز حَذف حرف اللَّام مِن جُملَة جَواب الشَّرط والجُملَة علىٰ تَرتِيبِها فمِن بابِ أَولَىٰ أَن يُحذَف إذَا قُدِّمَت جُملَة جَواب الشَّرطِ علَىٰ حَرفِ الشَّرطِ وجُملَة الشَّرط .

---

(١) شاعر في عصر الدوله الأموية (شرح ديوان الحماسه للمرزوقي (١٠٤٥).

(٢) شاعر جاهلي (شرح ديوان الحماسه للتبريزي ١/ ٥٣).

قال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾.

لَولا: حَرفُ شَرطٍ.

أن رَأَىٰ بُرهانَ ربِّه: جُملَة الشَّرط.

همَّ بِها: جملة جواب الشرط حذف منها حرف اللام.

قال أبو حيَّان الأندَلُسِي في البَحر المُحِيط (٦/ ٢٥٧- ٢٥٨):

«﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ طوَّل المُفسِّرون في تَفسِير هذين الهمَّينِ، ونسبَ بَعضُهم ليُوسُف ما لا يَجُوز نِسبَتُه لآحادِ الفُسَّاق. والذي أخْتَارُه أنَّ يُوسُف عَلَيْهِ السَّلَامُ لَم يقَع مِنه همٌّ بها البتَّة، بل هو مَنفي لوجُود رُؤيَة البُرهَان كما تقُولُ: لقَد قَارَفت لَولَا أَن عَصمَكَ اللهُ، ولا تقُولُ: إنَّ جوَابَ (لولَا) مُتقدِّم عَليهَا وإن كان لا يقُوم دليلٌ علىٰ امتِنَاع ذلك، بل **صَرِيح أَدوَات الشَّرط العَامِلَة مُختَلَف في جوازِ تَقدِيم أَجوبتَهَا عَليهَا، وقَد ذَهَب إِلَىٰ ذَلِك الكُوفِيُّون، ومن أَعلَام البَصرِيين أَبُو زَيد الأنصَارِي، وأبُو العبَّاس المُبرِّد**. بل نقُول: أن جواب (لَولَا) مَحذُوف لِدلَالَة مَا قبلَه عَليهِ، كمَا تقُول جُمهُور البَصرِيِّين في قولِ العَرَب: أنتَ ظَالِمٌ إن فَعلتَ، فيُقدِّرونَه: إنْ فَعلتَ فأَنتَ ظَالِمٌ، ولَا يدلُّ قوله: أَنتَ ظَالِم علىٰ ثُبُوت الظُّلمِ، بل هو مُثبَت علَىٰ تَقدِير وُجُود الفِعل. وكَذلِك هنا **التَّقدِير: لَولا أَن رَأىٰ بُرهانَ رَبِّه لهمَّ بِهَا، فكانَ مُوجدًا الهَمَّ علَىٰ تَقدِير انتِفاء رُؤيَة البُرهَان، لكِنَّه وُجِد رُؤيَة البُرهَان فانتَفَىٰ الهَمُّ**» انتهىٰ.

«وإِن تقدَّم علَىٰ أَداة الشَّرطِ شَبيه الجَواب فهُو دَليلٌ عَليهِ، ولَيس

إيَّاه هذَا مَذهَب جُمهُور البَصرِيين وذَهَب الكُوفِيُّون والمُبرِّد وأبُو زَيد إلَىٰ أنَّه الجَوابُ بنَفسِه»[(١)].

كَلام أبو حيَّان الأندَلُسِي في أن جمهور نُحاة البَصرة يَمنعُون تقدُّم جَوابَ الشَّرطِ علىٰ أدَاة الشَّرطِ ليسَ علىٰ إطلاقِه، فبَعضُ نُحاة البَصرةِ يُجيزُون تقدُّم جوَاب الشَّرط في حَالاتٍ مُعيَّنه، **فالأَخفَش** يُجِيز تقدُّم جَواب الشَّرط علَىٰ أَداة الشَّرط إذَا كانَ جَوابُ الشَّرط فِعلًا مَاضيًا أو مضارعا ، **وأبُو عُثمَان المَازِني** يُجِيز تَقدُّم جَواب الشَّرطِ علىٰ أدَاة الشَّرط إذا كانَ جوَاب الشَّرط فعلًا مُضارِعًا.

«قالَ أكثرُهُم - أي: البصريون -: ولَا الجَواب أيضًا لَا يَجوزُ تَقدِيمُه علَىٰ الأَداةِ لأَنَّه ثَانٍ أَبدًا عنِ الأوَّل مُتوَقِّفٌ عَليهِ، وقالَ **الأَخفَش**: يجُوز تَقدِيمُه عَليهَا كمَذهَب الكُوفِيِّين مَاضيًا كانَ أو مُضارعًا، نَحو: قُمْتُ إن قُمتَ، وأَقُوم إن قُمتَ، وثَالِثها: يجُوز تَقدِيم الجَوابِ إن كان مُضارعًا، ويَمتَنِع إن كان مَاضيًا وعليهِ **المَازني**[(٢)]؛ لأنَّ المُضارِع هو الأصلُ فلم يكثرْ فيهِ التَّجوُّز بخلَافِ المَاضي، فإنَّه يَجوز

(١) حاشية الصبان علىٰ شرح الأشموني علىٰ ألفية ابن مالك (٤ / ٢٢- ٢٣).

(٢) يحتمل أن المازني يجيز تقدم جواب الشرط ان كان فعل ماضي لأنه قال: «لأن المضارع هو الأصل فلم يكثر فيه التجوز بخلاف الماضي فإنه يجوز فيه بأن عبر بصيغته عن المستقبل فإن قدم وحقه التأخير كثر التجوز» فالجمله الأولىٰ وهي قوله: «يجوز تقديم الجواب إن كان مضارعا ويمتنع إن كان ماضيا» أظن أنها خطأ لأنها تناقض الجمله الثانيه وهي قوله: «لأن المضارع هو الأصل فلم يكثر فيه التجوز بخلاف الماضي فإنه يجوز فيه بأن عبر بصيغته عن المستقبل فإن قدم وحقه التأخير كثر التجوز».

فيهِ بأن عبَّر بصِيغَته عن المُستَقبَل، فإن قُدِّم وحقُّه التَّأخِير كثُرَ التَّجوُّز، ورابعهَا: يَجُوز تَقدِيم الجَواب إِن كَانَا - أي: الشرط والجواب - مَاضِيين بخِلَافِ ما إذا كان الشَّرط وَحدَه مَاضيًا، ووَجهُ أن لما يَظهر لِلأدَاة فيه عملٌ إذا تَأخَّر جَاز تَقدِيمُهُ؛ لأنَّه مُقدَّمًا كحَالِه مُؤخَّرًا، فكان كَأنَّما لَم يَعمَلْ فِيهِ بخِلافِ المُضَارِع، فإنَّه مُتأثِّر بها، فصَار تَقدِيمُه علَىٰ الجَازِم كتَقدِيم المَجرُور علَىٰ الجارِّ»[1].

قَال المَاوِردِي في تَفسِيرِه (٣ / ٢٤): «أن قَولَه ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾ كلَام تامٌّ قد انتَهىٰ، ثمَّ ابتدَأ الخَبَر عَن يُوسُف، فقال: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾، **ومَعنَىٰ الكَلَام لَولَا أن رَأىٰ بُرهَان ربِّه لهمَّ بهَا. قَالَه قُطرُب**».

وقَال ابنُ الجَوزِي في زَاد المَسِير (٢ / ٤٢٩): «إنَّ في الكَلامِ تَقديمًا وتَأخيرًا، تَقدِيرُه: **ولقَد هَمَّت بهِ، ولَولَا أن رَأىٰ بُرهَان ربِّه لهمَّ بهَا**، فلمَّا رَأىٰ البُرهَان، لَم يَقع مِنه الهمَّ، **فقَدَّم جوابَ «لَولَا» عليها**، كمَا يُقَال: قد كُنتَ مِنَ الهَالِكِينَ، لَولَا أَن فُلانًا خَلَّصَكَ لَكُنتَ من الهَالكِين، ومِنه قَولُ الشَّاعِر:

فَلَا يَدَعنِي قَومِي صَرِيحًا لِحرَّة ... لِئِن كُنت مَقتُولًا وتَسلَم عَامِر

أراد: لِئن كُنتُ مَقتُولًا وتَسلَم عَامِر، فَلَا يَدعنَي قَومِي، **فَقَدَّم الجَواب. وإلَىٰ هَذَا القَول ذَهَبَ قُطْرُب**».

قُطْرُب مِن نُحَاةِ البَصرَة

---

(١) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (٢/ ٥٥٩، ٥٦٠).

قال القُرطُبي في تَفسِيرِه (٩ / ١٢١): «في الكـلَام تَقـدِيم وتَـأخِير، أي: لَولَا أن رأَىٰ بُرهَان ربِّه همَّ بِها، قَال أبُو حَاتِم: كُنْتُ اقرأُ غَريبَ القُرآنِ علَىٰ أبِي عُبيدَةَ فلمَّا أَتيتُ علَىٰ قَولِه: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ الآية **قال أبُو عُبيدَةَ: هذا علَىٰ التَّقدِيم والتَّأخِير،** كأنَّه أَرادَ: ولَقد همَّت بِهِ ولَولَا أَن رَأىٰ بُرهَانَ رَبِّه لهمَّ بِهَا».

أبُو عُبيدَة مَعمَر بنِ المُثنَّىٰ مِن نُحاةِ البَصرة، فهُو عَالمٌ بِالنَّحو واللُّغَة والتَّفسِير، ولَه كِتَاب (مجاز القرآن).

فقُطرُب وأبُو عُبيدَةَ مِن البَصرِيِّين صرَّحُوا بأنَّ ﴿هَمَّ بِهَا﴾ جَوَاب شَرط، وعَلَىٰ قَول أبِي العبَّاس المُبرِّد وأَبِي زَيدٍ الأنصَارِي ﴿هَمَّ بِهَا﴾ جَوابُ شَرطٍ، وعَلَىٰ قَولِ الأخفَش ﴿هَمَّ بِهَا﴾ جَواب شَرط لأنه فعل ماض ، وكلُّ هؤلاءِ مِن نُحَاةِ البَصرة، وعَلىٰ قَول نُحاة الكُوفة ﴿هَمَّ بِهَا﴾ جَواب شَرطٍ.

اذا قوله تعالىٰ : ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾

لَـوْلَا : حَرف شَرطٍ، وهـو حَـرف امتِناع لوُجُـود (امتناع جملة جواب الشرط لوجود جملة الشرط).

أَن رأَىٰ بُرهَان ربِّه: جُملَة الشَّرط.

هـذَا مُتَّفقٌ عليه بين نُحاة البَصرَة والكُوفَة، والخِلاف في جُملَة جواب الشرط.

علَىٰ قـولِ نُحاةِ الكُوفَة ومِن نُحاةِ البَصرَة (أبي زَيدٍ الأَنصَاري وأَبِي العبَّاس المُبرِّد والأَخفَش وقُطرُب وأبِي عُبيدَة)، قَولُه تعالىٰ:

﴿هَمَّ بِهَا﴾ جواب الشرط

وعلىٰ قولِ الخَلِيل ويُونُس وسِيبوَيهِ: جَواب الشَّرط مَحذُوف دلَّ عَليهِ قَولُه تَعالىٰ: ﴿هَمَّ بِهَا﴾ ويقدِّرُون الجُملَة: (هَمَّ بِهَا لَولا أَن رَأَىٰ بُرهانَ ربِّه لَهمَّ بِهَا)

وعلَىٰ كِلَا القَولَين قَول نُحَاة البَصرَة والكُوفَه (يُوسُف) لَم يَحدُث مِنه هَمٌّ؛ لأَنَّ هُناك فَرقٌ بَين النَّحوِ واللُّغَة العَربيَّة.

- مِثال ذَلِك إذَا قُلتَ (جَاءَ زَيْدٌ).

(جَاء): فِعلٌ مَاضٍ، (زَيْدٌ): فَاعِل.

فهذَا مُتَّفَق عليهِ بينَ النَّحوِ واللُّغَة.

- ولكِن إذَا قُلتَ: (لَم يَذْهَبْ زَيْدٌ إِلَىٰ المَسْجِدِ) فإِعرَابُهَا:

(لَم): حَرفُ جَزمٍ ونَفْيٍ وقَلْبٍ، (نَفيٌ) لأَنَّها تَنفِي الفِعل بَعدَهَا، و(جَزمٌ) لأَنَّها تَجزِمُ الفِعل بَعدَها، و(قَلبٌ) لأَنَّها تَقلِب زمنَ الفِعل المُضارِع منَ الحَالِ أو الاستِقبَال إلَىٰ زَمن المَاضِي.

(يَذهَبْ): فِعل مُضارِع ، (زَيْدٌ): فَاعِل، (إِلَىٰ): حَرفُ جَرٍّ، (المَسْجِدِ): اسمٌ مَجرُورٌ بـ(إِلَىٰ) وعَلامَة جرِّه الكَسرَة.

فمِن حَيثُ النَّحو والصَّنعَه الإِعرَابيَّه (زَيْدٌ) فَاعِل، ولكِن مِن حَيثُ اللُّغَة العَربيَّة والمَعنَىٰ: (زَيْدٌ) لَيسَ بفَاعِل؛ لأَنَّه لَم يَذهَب، فهُو لَم يَفعَل الفِعلَ.

- مِثَال آخر: إذَا قُلتَ: (كُسِرَ الزُّجَاجُ).

(كُسِرَ): فِعل مَاضٍ مَبنِي لمَا لَم يُسمَّ فاعِلُه (مَبني للمَجهولِ).

(الزُّجَاجُ): نَائِب فَاعِل.

مِن حَيثُ النَّحو (الزُّجَاج) نَائِب فَاعِل، ولَكِن مِن حَيثُ اللُّغَة العَربيَّة والمعنىٰ (الزُّجَاجُ) مَفعُول بِهِ .

- مِثال ثَالِث: إذَا قُلت: (زَيْدٌ جَاءَ).

(زَيْدٌ): مُبتَدَأ.

(جَاءَ): فِعل مَاضٍ، والفَاعِل ضَمِير مُستَتِر تَقدِيرُه (هُو) عَائِد إلَىٰ (زَيْدٍ).

فمِن حَيثُ النَّحو والصَّنعَه الإعرَابِيَّه الفَاعِل ضَمِير مُستَتِر تَقدِيرُه (هو)، ولَكِن مِن حَيثُ اللُّغَة العَربيَّة والمَعنَىٰ الفَاعِل هو (زَيدٌ).

قال ابنُ جنِّي في الخَصَائِص (١/ ٢٨١): «بَابٌ في الفَرقِ بينَ تَقدِير الإعرابِ وتَفسِير المَعنِىٰ:

هذا المَوضِع كَثيرًا مَا يَستَهوِي مَن يَضعُف نَظرُهُ إلىٰ أن يقُودُه إلىٰ إفسَاد الصَّنعَة. وذلك كقَولِهم في تَفسِير قَولِنا: (أَهْلَكَ وَاللَّيلَ) مَعنَاه: الحَقْ أَهْلَكَ قَبْلَ اللَّيلِ، فرُبَّما دعَا ذَاك مَن لَا دُربَة لَه إلَىٰ أن يقُول: (أَهْلَكَ وَاللَّيلَ) فيَجُرُّه، وإنَّما تقديره: (الْحَقْ أَهْلَكَ وَسَابِقِ اللَّيلَ). وكذَلِك قَولُنا زيد قَام: **رُبَّمَا ظنَّ بَعضُهم أنَّ زَيدًا هُنا فَاعِل في الصَّنعَة، كمَا أنَّه فَاعِل في المَعنَىٰ**».

قال ابنُ جنِّي في الخَصائِص (١ / ٣٤٤): «ألَا تَراكَ إذا سُئلتَ عن (زَيدٍ) من قولِنا: (قَامَ زَيدٌ) سمَّيته فَاعلًا، وإن سُئِلت عَن (زَيدٍ) من قَولِنا: **(زَيدٌ قام) سمَّيتُه مُبتدأ لا فَاعِلًا، وإن كانَ فَاعِلًا في المَعنَىٰ**.

وذَلك أنَّك سَلكتَ طَريق صَنعة اللَّفظ فاختَلفَت السِّمَة، فأمَّا المعنَىٰ فَواحِد. فقَد تَرىٰ إلىٰ **سِعَة طَرِيق اللَّفظ وضِيق طريقِ المَعنَىٰ**».

قال ابن جني في الخصائص (١ / ٢٨٤ ، ٢٨٥) : «ومِن ذَلِك قَولُهُم: (**أَنْتَ ظَالِمٌ إِن فَعَلْتَ**) ألَا تَراهُم يقُولُون في مَعنَاه: إِن فَعلتَ فَأَنْتَ ظَالِمٌ، فهذَا ربَّما أَوهَم أَن (أَنْتَ ظَالِم) جَواب مُقدَّم ومَعاذَ اللهِ أَن يُقدَّم جَواب الشَّرط عليه، وإِنَّما قَولُه: (أَنْتَ ظَالِمٌ) دالٌّ علَىٰ الجَوابِ وسَدَّ مَسدَّه، فأمَّا أن يكُون هُو الجَواب فَلا[(١)].

ومِن ذلِك قَولُهم في (عَليكَ زَيدًا): إِن معنَاهُ: (خُذ زَيدًا) وهُو - لِعمرِي- كَذلك، إلَّا أَنَّ (زَيدًا) الآن إنما هو مَنصُوب بنفسِ (عَلَيكَ) مِن حَيثُ كانَ اسمًا لِفعلٍ مُتعدٍ لَا أنَّه مَنصُوب بـ(خذ).

أَلَا تَرىٰ إِلَىٰ **فَرق مَا بَين تَقدِير الإِعرَاب وتَفسِير المَعنَىٰ**، فإذا مرَّ بكَ شَيءٌ مِن هذَا عن أَصحابِنَا[(٢)] فَاحفَظ نَفسَك مِنه ولَا تَستَرسِل إلَيهِ **فإن أَمكَنَك أَن يكُون تَقدِير الإِعرَاب علَىٰ سَمتِ تَفسِير المَعنَىٰ فهُو مَا لَا غَايَة ورَاءَه، وإن كانَ تَقدِير الإِعرَابِ مُخالفًا لتَفسِير المَعنَىٰ تَقبَّلت**

---

(١) ابن جني يأخذ بقول البصريين من أجل الأحكام اللفظية مع تفريقه بين النحو واللغه.

(٢) قال شوقي ضيق في المدارس النحويه (٦ ، ٧): «ومضيت أبحث في المدرسة البغدادية .... أبا علي الفارسي وابن جني، كثيرا ما يَكْنيان عن البصريين في مصنفاتهما باسم (أصحابنا) مما جعل كثرة المعاصرين تظن أنهما بصريان حقا، وهما إنما يصوران بذلك نزوعهما الشديد تلقاء البصريين، أما بعد ذلك فإنهما ينهجان النهج القويم للمدرسة البغدادية القائم علىٰ الانتخاب من آراء المدرستين البصرية والكوفية».

تَفسِير المَعنَىٰ علَىٰ مَا هُو عَليهِ، صَحَّحت طَرِيق تَقدِير الإِعرَاب حَتَّىٰ لَا يَشذَّ شيءٌ مِنهَا عَليك، وإيَّاك أَن تَسترسِل فتُفسِد مَا تُؤثر إِصلَاحَه، **أَلَا تَراك تُفسِّر نَحو قَولِهم: (ضَرَبْتُ زَيْدًا سَوْطًا) أَنَّ مَعناهُ: (ضَرَبْتُ زَيْدًا ضَرْبَةً بِسَوْطٍ). وهُو - لَا شكَّ - كَذَلِك ولكنَّ طَرِيق إعرَابِه أَنَّه عَلَىٰ حذفِ المُضَاف،** أي: (ضَرَبْتُهُ ضَرْبَةَ سَوْطٍ) ثمَّ حُذفَت الضَّربَة علَىٰ عِبرَة حَذف المُضَاف. ولَو ذَهبت تَتأَوَّل: (ضَربْتُه سَوطًا) علَىٰ أنَّ تَقدِير إعرَابِه: (ضَرْبَةً بِسَوطٍ) كمَا أن مَعنَاه كذَلِك لَلَزِمَك أَن تُقدِّر أنَّك حَذَفت البَاء كمَا تَحذِف حَرف الجَرِّ في نَحو قَولِه: (أَمَرْتُكَ الخَيْرَ)، و(أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذَنْبًا فتَحتَاج إِلَىٰ اعتِذَار مِن حَذفِ حَرفِ الجرِّ وقَد غَنِيت عَن ذَلِك كُلَّه بقَولِكَ : إنه علىٰ حَذف المُضاف، أي: (ضَرْبَةَ سَوطٍ) ومَعنَاه (ضَربَة بِسَوطٍ) فهذا – لعمري - مَعنَاه، فأمَّا طَرِيق إِعرَابِه وتَقدِيرِه فحَذفُ المُضَافِ».

- كـذلك في قولـه تَعـالىٰ: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ مِـن حيثُ النَّحو جَواب الشَّرط مَحذوف دلَّ عليه ما قَبلَه﴿هَمَّ بِهَا﴾ أمَّا مِن حيث اللُّغة والمعنىٰ جَواب الشَّرط هو قَولِه تَعالَىٰ: ﴿هَمَّ بِهَا﴾

قال خَالِد الأَزهَري في شرح التَّصرِيح علىٰ التَّوضِيح (٢ / ٤١١): «ويَجِب حَذف الجَوابِ إِن كانَ الدَّالُّ عَليهِ مَا تَقدَّم ممَّا هُـو **جَوابٌ فِي المَعنَىٰ، ولَا يَصِحُّ جَعلُه جَوابًا صَنعَة**».

- قالَ ابـنُ الحَاجِـب: «فأمَّـا إذا تقـدَّم مثـل قولِـك: أَنْـت طَـالِق إِن دَخَلتِ الدَّارَ، فهذَا ممَّا اختُلِف فيه، فمنهُم من يقولُ هو الجـزَاء - كمَـا

ذهبَ الكُوفِيُّون -، ومِنهُم من يقُول: هو جُملَة مُستَقلَّة دلَّت علىٰ الجَزَاء - كمَا ذَهبَ البَصريُّون - والوَجه أنَّ الجَزَاء مُقدَّر مِثلُه، إلا أنَّه حُذِف لِلعِلم بهِ، ويتمسَّك مَن ذَهَب إلَىٰ الأوَّل بأنَّ هذَا الكلَامَ المُتقدَّم لو كان إِخبارًا مُطلقًا، ولَيس مُعلَّقًا علىٰ الشَّرطِ لوجَبَ أن تُطلَّق، وإِن لَم تَدخُل الدَّار، ولمَّا لَم يكُن ذلك وكان بمثَابَة ما لو قال: إِن دَخَلْتِ الدَّار فأَنتِ طَالِق بِالإِجمَاع وَجَب أَن يُقضَىٰ عليه بِالجَوابِ، إِذ لَا مَعنَىٰ لِلجوَاب إلَّا مَا عُلِّق علَىٰ الشَّرطِ، وهُو مَعنًىٰ قَوِي إلَّا أَن الأَحكَام اللَّفظيَّة تُعارِضُه»[1].

فمَعنَىٰ هذَا أنَّ الذِي مَنَع مِن قَولِهم مَا تَقدَّم علىٰ أَداة الشَّرط هُو جَواب الشَّرطِ الأَحكَام اللَّفظيَّة، ولكِنَّ الجمِيعَ يتَّفقُ علىٰ أن ما قبلَ أَداة الشَّرطِ لَا يقَع إلَّا بتَحقُّق جُملَة الشَّرطِ، كذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾، إن قُلنا إن جُملة: (هَمَّ بِهَا) جُملَة مُستقلَّة عن جملة: (لَولا أَن رَأىٰ بُرهانَ ربِّه) فمَعنىٰ هذا أيضًا أنَّ همَّه بها لم يقَعْ.

• قول القائل لامرأته: أنت طالق إن دخلت الدار. الطلاق لا يقع باتفاق الفقهاء:

١- قالَ المَاوِردِي في الحَاوي الكَبِير (١٠ / ١٩٣): «الطَّلَاق المُعلَّق بصِفَة يَقع بأوَّل وُجُود الصِّفَة كقَولِه: (أَنتِ طَالِقٌ إنْ دَخلْتِ الدَّارَ) تُطَلَّقُ بدُخولِ الدَّارِ».

(١) الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب (٥٧٥- ٥٧٦).

٢- قالَ السَّرخَسِي في المَبسُوط (٦ / ١٣٥): «لَو قَالَ: أَنتِ طَالِقٌ إِن دَخلتِ الدَّارَ، وهِي في الدَّارِ، فمَكَثَتْ كَذلِك، لَم تُطلَّق حتَّىٰ تَخرُجَ وتَدخُل».

٣- قالَ الشِّيرَازِي في المُهذَّب في فِقه الشَّافِعي (٣ / ٣٩): «وإن قَال: إِن دَخلْتِ الدَّارَ أَنْتِ طَالِقٌ، بِحذفِ الفاءِ؛ لَم تُطلَّق حتَّىٰ تَدخُلَ الدارَ؛ لأنَّ الشَّرط ثَبتَ بقَولِه: إِن دَخَلْتِ الدَّارَ، ولهذَا لَو قَال: أَنْتِ طَالِقٌ إنْ دَخلتِ الدارَ، ثَبتَ الشَّرطُ».

٤- قال الكَاسَاني الحَنفِي في بدَائع الصَّنائِع في تَرتِيب الشَّرائِع (٣ / ١٤٠): «لَو قَال: أَنْتِ طَالِقٌ إِن دَخَلْتِ الدَّار، أَنتِ طَالِقٌ إنْ دَخلتِ الدَّارَ، أنتِ طَالِقٌ إنْ دَخلتِ الدَّارَ، أَو قدَّم الشَّرطَ بأن قالَ: إِن دَخلتِ الدَّارَ فأَنتِ طَالِقٌ، قالَ ذَلك ثَلاثًا، يتَعلَّق الكلُّ بالدُّخولِ، فمَا لَم تَدخُل لَا يَقع شَيءٌ».

٥- قال الفَخرُ الرَّازِي في تَفسِيره (١٧/ ٣٤٢، ٣٤٣): «قَولُه: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡ﴾ [هود:٣٤] جزَاء مُعلَّق علَىٰ شرطٍ بَعدَه شَرطٌ آخَر، وهذَا يَقتضِي أن الشَّرطَ المُؤخَّر في اللَّفظِ مُقدَّمًا في الوجُودِ، وذَلِك لأنَّ الرَّجلَ إذَا قالَ لِامرَأتِه: أَنْتِ طَالِقٌ إنْ دَخلْتِ الدَّارَ، كانَ المَفهُومُ كونَ ذَلك الطَّلاقِ مِن لُوازِم ذَلِك الدُّخول».

وقال الفَخرُ الرَّازِي في تَفسِيرِه (١٨ / ٣٨٦): «﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [هود:٨٦]، واعلَم أنَّ المُعلَّق بِالشَّرطِ عدَمٌ عندَ

عَدَم الشَّرطِ».

- قَول الرَّجُل لِامرَأَتِه : «أَنْتِ طَالِقٌ إِنْ دَخَلْتِ الدَّارَ».

(إِنْ): حرف شرط

(دَخَلْتِ الدَّارَ): جملة الشرط

(أَنْتِ طَالِق): جُملَة جَواب الشَّرطِ. علَىٰ قَول نُحَاة الكُوفَة وبَعضِ نُحَاةِ البَصرَة، أَمَّا علَىٰ قَولِ الخَلِيل وسِيبَويهِ ويُونُس مِن نُحَاةِ البَصرَة فجَواب الشَّرطِ مَحذُوف دلَّ علَيه قَولُه: (أَنتِ طَالِق) فيُقدِّرُونَ الجُملَه: (أَنْتِ طَالِق إِنْ دَخَلْتِ الدَّارَ فَأَنْتِ طَالِقٌ).

وعلَىٰ كِلَا الإعرَابَينِ لَا يَقَع الطَّلَاق باتِّفَاقِ الفُقَهَاءِ.

فدلَّ ذَلك علَىٰ أنْ مَا قبلَ أَداةِ الشَّرطِ لَا يَقع إلَّا بوقُوع مَا بعدَ أَدَاة الشَّرطِ، سواءً كانَ مَا قَبلَ أَداةِ الشَّرطِ جَوابُ الشَّرطِ أَو دَليلُ الجَوابِ، والجَواب مَحذُوف، كَذلِك في قوله تعالىٰ: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ الهَمُّ لَم يقَع سَواءً كانَ (هَمَّ بِهَا)جَواب الشَّرط، أو دَلِيل الجَواب، والجَواب مَحذُوف.

- قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:٤٣].

علىٰ قَولِ الخَليل وسِيبَوَيه ويُونُس من نُحاةِ البَصرةِ جَواب الشَّرطِ مَحذُوف دلَّ عَليهِ مَا قَبلَه (ما كنا لنهتدي) ، فذلِك يَعني أن امتِنَاع عدَم الهِدَايَة لُوجُود هدَاية اللهِ، أي: حَصلَت الهدَايَة لِوجُود هدَايَة اللهِ، إذ لو قُلنا أن قَولَه: (ما كنا لنهتدي) خَبَر مُستَقل لوُجِد التَّناقُض، فتَقدِير الآية: «مَا كُنَّا لنَهتدِي لولَا أَن هدَانا اللهُ مَا كنَّا لنَهتَدي» فأوَّل الكَلام

يَنفِـي الهِدايَـة، والكَـلامُ المَحـذُوف المُقـدَّر يُثبِـت الهدَايـة، فالجُملـة الأُولىٰ المُثبتَة قبل (لولا) تَنفِي الهدَايَه، والجُملة الثَّانية المُقـدَّرة تُثبِـت الهِدايَه، فيُقدِّرونَ الجُملَة: (مَا كنَّا لنَهتَدِي لولَا أَن هدَانا مَا كُنَّا لِنهتَدِي) امتَنع جَواب الشَّرط لوجُودِ الشَّرط، امتنَع عـدَم الهدَايَه لوُجُـود هدَايَـة اللهِ، ونَفيُ النَّفي إثبَات، فيكُون المَعنَىٰ حَصلَت الهِدايَه لوُجُـود هِدَايَـة اللهِ، والجُملَة التي قَبل لَولَا تَنفِي الهِدايَة، والتِي بعدَ لَولَا تُثبِتُ الهِدَاية، وهذَا تَناقُض، والحَقُّ أن يُقَال أَنَّ ما قَبل لَولَا جُملَـة مُستَقِلَّة مـن حَيـثُ الأَلفَاظ النَّحوية، ولكِن مِن حيثُ اللُّغَه جُملَة غَير مُستقِلَّة.

قال تعالىٰ: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾.

علىٰ قَول الخَليلِ وسِيبَوَيهِ ويُونُس جَوابُ الشَّـرط مَحذُوف دلَّ عَليهِ مَا قَبلَه: (هَمَّ بِهَا) فيُقدِّرُون الجُملَة: (هَمَّ بِهَا لَـولا أَن رَأَىٰ بُرهـانَ ربِّه لَهمَّ بِهَا)، فالجُملَـة المُقـدَّرَة تَنفِـي الهَـمَّ، والجُملَـة الأُولَـىٰ المُثبتَـه التي قبل (لَولَا) تُثبِت الهَمَّ، فإذَا قُلنَا: إنَّ الجُملـة الأُولَـىٰ خَبَـر مُستَقلٌّ لوُجدَ تَناقضٌ بَين الجُملَة المُثبَتَة والجُملَة المُقدَّرَة، فالوَاجِبُ أن يُقـالَ أَنَّ الجُملَة الأُولَىٰ (هَمَّ بِهَا) دَليل الجَوابِ، وهِـي جُملـة مُستَقِلَّه مـن حَيثُ النَّحوِ والأَحكَام اللَّفظِيَّة، أمَّا مِن حيـثُ المَعنىٰ واللُّغـة العَربيَّـة فهِي جَواب الشَّرط.

الخُلَاصَة مِن ذَلِك كُلِّه أنَّ يُوسُف لَم يَحدُث مِنهُ هَمٌّ سَواء قُلنَا أنَّ ﴿ هَمَّ بِهَا ﴾ جَواب شَرطٍ مُقدَّم أَو دَلِيل جَواب الشَّرط.

المُفسِّـرون كلُّهـم أَجمَعـون مُتَّفقُـون علـىٰ أنَّ يُوسُـف لـم يَفعَـل

الفَاحِشَة، ولكِنَّهم مُختَلِفون هل أَتَىٰ بمُقدِّمات الفَاحِش، مِن حَديثِ نَفسٍ أَو نَظرَة أو قُبلَة أَم لَا[1] ومختلفون في معنىٰ هم بها .

● **الهم يرد في اللغة علىٰ معان:**

١- حَديثُ النَّفس[2].

٢- تَحرُّك الشَّهوَات والغَرائِز الكَامِنَة دَاخِل الجَسَد[3].

٣- العزمُ والتَّصمِيم علَىٰ الفِعل.

ولَا يتمُّ المَعنَىٰ الثَّالِث[4] إلَّا بتَمَام المَعنَىٰ الثَّاني، ولَا يتمُّ المَعنَىٰ

---

(١) قال شيخ الاسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوىٰ (١٥/ ١٤٨-١٤٩): «ويوسف ﷺ لم يذكر الله تعالىٰ عنه في القرآن أنه فعل مع المرأة ما يتوب عنه أو يستغفر منه أصلا. وقد اتفق الناس علىٰ أنه لم تقع منه الفاحشة ولكن بعض الناس يذكر أنه وقع منه بعض مقدماتها مثل ما يذكرون أنه حل السراويل وقعد منها مقعد الخاتن ونحو هذا وما ينقلونه في ذلك ليس هو عن النبي ﷺ ولا مستند لهم فيه إلا النقل عن بعض أهل الكتاب وقد عرف كلام اليهود في الأنبياء وغضهم منهم» انظر صفحه ٦٤وما بعدها من هذا الكتاب ففيها أقوال العلماء الذين يضعفون روايات كتب التفسير.

(٢) تفسير الماوردي (٣/ ٢٤)، زاد المسير (٢ / ٤٢٧).

(٣) تفسير الماوردي (٣/ ٢٤).

(٤) قال ابن الجوزي في زاد المسير (٢ / ٤٢٨-٤٢٩): «**إنما همت، فترقت همتها إلىٰ العزيمة، فصارت مصرة علىٰ الزنا**. فأما هو، فعارضه ما يعارض البشر من خطرات القلب، وحديث النفس، من غير عزم، فلم يلزمه هذا الهم ذنبا، فإن الرجل الصالح قد يخطر بقلبه وهو صائم شرب الماء البارد، فإذا لم يشرب لم يؤاخذ بما هجس في نفسه وقد قال ﷺ: «عفي لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل» .

وقال ﷺ: «هلك المصرون» وليس الإصرار إلا عزم القلب، فقد فرق بين=

الثَّانِي إلَّا بتَمَام المَعنىٰ الأوَّل، فإذَا انتفَىٰ المَعنىٰ الأوَّل انتفَىٰ المَعنَىٰ الثَّاني والثَّالِث.

فهَمُّ امرأةِ العَزيزِ همٌّ عَزمٍ وتَصمِيم علَىٰ فِعل المَعصِيَة؛ لإنها رَاوَدَت يُوسُف وغَلَّقت الأبواب، وقَالَت: هيتَ لَك، أمَّا يُوسُف فَالمَعنَىٰ الأوَّل وهُو حَدِيثُ النَّفسِ مُنتَفِي في حقِّه فينتَفِي المَعنَىٰ الثَّاني والثَّالث.

يُوسُف تَوفَّر لَه مِنَ الدَّواعِي لِفعل الفَاحشةِ مَا لَم يتوفَّر لغَيرِه، ورَغم ذَلِك لم يَفعلْها، بل لَم يَأتِ بمُقدِّمَاتِها من حديثِ نَفسٍ وتَحرُّك الشَّهوَاتِ والغَرائِز الجَسديَّة.

- **والداوعي التي توفرت ليوسف هي:**

١- أنَّه شابٌ، والشَّباب شَهوتُه تكُون أَكثَر منَ الشُّيوخ.

٢- أنَّه عزَبٌ، لَم يكُن عِنده زَوجَة ولَا سريَّة تُخفِّف مِن حدَّة شَهوَتِه.

٣- أنَّه غَريبٌ، والرَّجل في وطنِه يَستِحي مِن فِعل مَا يُشينُه بينَ

=حديث النفس وعزم القلب. وسئل سفيان الثوري: أيؤاخذ العبد بالهمة؟ فقال: إذا كانت عزما ويؤيده الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يقول الله تعالىٰ: إذا هم عبدي بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه، فإن عملها كتبتها عليه سيئة» . واحتج القاضي أبو يعلىٰ علىٰ أن همته لم تكن من جهة العزيمة، وإنما كانت من جهة دواعي الشهوة بقوله: ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ ﴾، وقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَ ﴾ وكل ذلك إخبار ببراءة ساحته من العزيمة علىٰ المعصية، وعلىٰ هذا تكون همته مجرد خاطر لم يخرج إلىٰ العزم».

أَقارِبِه وأَصحابِه، فإذَا كانَ غَريبًا انتَفَىٰ ذلك المَانِع.

٤- أنَّه عبدٌ مَملُوك، والمَملُوك يكُون ذَلِيلًا.

٥- أنَّه لَم يكُن رَاغبًا في امرأةِ العَزيز، ولكنَّها كانَت هيَ الرَّاغِبَة فِيه.

٦- أنَّه كانَ مَملُوكًا لامرَأةِ العَزيزِ، فهِي سيِّدتُه.

٧- أنَّ المَرأةَ كانَت ذَات مَنصِبٍ، فهِي امرَأةُ العزيزِ.

٨- أنَّ المَرأةَ ذَات جمَالٍ، فهِي امرأةُ العَزيزِ، ومِن المُمتَنِع عادةً أن يتزَوَّج العزيز امرأة دَمِيمَة.

٩- أنَّ المَرأةَ رَغم أنَّها جَميلَة فقَد تَزيَّنَت وتَهيَّئَت، فازدَادَت جمالًا فَوق جَمالِها، وفِتنةً فوقَ فِتنتِها، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ وعلىٰ رِوايَة هِشَام بن عمار عن ابن عَامِر الشَّامي: ﴿وَقَالَتْ هِئْتُ لَكَ﴾ بكَسرِ الهَاءِ وتَسكِين الهَمزَة وضمِّ التَّاءِ، أي: تَزيَّنتُ وتَهيَّئتُ لك (فتَعدُّد الرِّوايَات والقِراءَات يَنزِل مَنزِلَة تَعدُّد الآيَات)[1].

(١) قال الدكتور شعبان محمد إسماعيل (عضو لجنة مراجعة المصاحف بمجمع البحوث الاسلاميه بالأزهر ولجنة موسوعة الفقه الاسلامي بالمجلس الأعلىٰ للشؤون الاسلاميه بمصر والمدرس لأصول الفقه والقراءات بالدراسات العليا بكليتي الشريعه والدعوه وأصول الدين بجامعة أم القرىٰ بالسعوديه) في القراءات أحكامها ومصدرها (١٥٨ – ١٦٠) : «أن تختلف القراءتان في اللفظ والمعني معا ، مع صحة المعنيين كليهما ، فلا يكونان متناقضين ولا متعارضين ، بل يمكن اجتماعهما في شيء واحد ، كما في قوله تعالىٰ : ﴿ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾». قريء (نُنشِزُهَا) بالزاي علىٰ معنىٰ نضم بعضها إلىٰ بعض حتي تلتئم=

١٠– أنَّ المرأةَ كانَت سيِّدتُه، وكانت علىٰ عَزم أن تَعتِقَه إن وَافقَهَا علَىٰ مَا تُرِيد مِن فِعل الفَاحِشَة.

١١– أنَّ المَرأةَ كانَت ذَات مَالٍ وثَروَة، وكانَت علىٰ عزمٍ أن تُعطِيَه من صُنُوفِ المَال مَا يحبُّ إن وافقَهَا علىٰ طَلبِها.

١٢– أنَّ المَرأةَ هِي الرَّاغبَة والطَّالِبَة ليُوسُفَ، فكَفتْه مَؤُنَة الطَّلب.

=وتجتمع وكما قريء بالراء علىٰ معني نحييها بعد الموت للحساب. والمعنيان مختلفان ،ولكنهما لا يتناقضان ولا يتنافيان بل يلتقيان ، لأن الله تعالىٰ إذا أراد بعث الخلائق ضم عظامهم بعضها إلىٰ بعض حتىٰ تجتمع ، ثم يحييها للجزاء.

وكما في قوله تعالىٰ : ﴿إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ﴾.قريء بتشديد الصاد في الكلمتين ، والأصل: (المتصدقين والمتصدقات). ثم قلبت التاء صادا وأدغمت في الصاد بعدها .

والمعني : الذين يخرجون صدقات أموالهم ، سواء كانت مفروضة أم مندوبة وقريء بتخفيف الصاد في الكلمتين، والمعني الذين يذعنون للدين، وتمتليء نفوسهم بالانقياد له، والاستسلام لأحكامه ،فالمعنيان مختلفان، غير أنهما يجتمعان في العبد المؤمن المتصدق .

والحكمة في هذا النوع من الاختلاف أن تكون الآية بمنزلة آيتين وردتا لإفادة المعنيين جميعا ، وهذا نوع من الإعجاز القرآني ، كما تقدم توضيح ذلك عند الكلام علىٰ الحكمة من نزول القرآن علىٰ سبعة أحرف .أما اختلاف القراءتين في اللفظ والمعني مع تضاد المعنيين ،فلا وجود له في القرآن الكريم.

قال الله تعالي : ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾.

فاختلاف القراءات إنما هو اختلاف تنوع وتغاير، لا اختلاف تعارض وتضارب ، فإن هذا لا يتصور أن يكون في كلام العقلاء من البشر ، فضلا عن أن يكون في كلام رب العالمين ،وإذا كان الأمر كذلك استحال علىٰ النص القرآني أن يعتوره قلق ،أو ينزل بساحته اضطراب.

١٣- أنَّ خَوفَ الفَضيحَة مُنتِفٍ، لأنَّ يُوسُف كان في قَصرِهَا فإن رَأهُمَا أَحدٌ فلَن يَفضَحهُمَا خَوفًا مِن امرَأةِ العَزيزِ.

١٤- أنها غَلَّقتِ الأَبوَابَ، وأَعَدَّت المَكانَ، فكَفته مَؤُنَة إِعدَاد المَكانِ.

١٥- أنَّ زَوجَها ديُّوث، فبَعد أَن عَلِم أنَّ امرَأتَه رَاودَت يُوسُف قال: ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَا﴾ أي: لا تَخبرْ أحدًا بمَا حَدثَ، وقالَ لامرَأتِه: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ﴾ [يوسف:٢٩]، فبدلًا مِن أن يُبعِد يُوسُف عن القَصرِ تَركَ يُوسفَ في القصرِ، وبدلًا من أن يُطلِّق امرَأتَه لَم يُطلِّقْها.

١٦- أنَّ امرأةَ العَزيزِ هدَّدت يُوسُف بِالسِّجنِ، فقالت: ﴿وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ﴾.

١٧- أنَّها هدَّدته بالعَذَاب والصغار، فقالت: ﴿وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [يوسف:٣٢] وقالت لِزَوجِها: ﴿مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [يوسف:٢٥]. (يُسْجَنَنَّ) فعل مُضَارِع مؤكَّد بنُون التَّوكِيد الثَّقِيلَه، و(يَكُونًا) فعل مُضَارع مُؤكَّد بنُون التَّوكِيد الخَفِيفَه، ونُون التَّوكِيد الثَّقِيلَة فِيهَا زِيادَة تَوكِيد لِزيادَة مَبنَاهَا علَىٰ نُون التَّوكِيد الخَفِيفةِ فنُون التَّوكِيد الثَّقِيلةِ هي نُون سَاكِنَة وبَعدَها نُون مُتحرِّكَة، فأُدغِمَت النُّون في النُّون، فأَصبَحت نُون مُشدَّدَة، أمَّا نُون التَّوكِيد الخَفيفَة فِهِي نُون سَاكِنَة، فامْرَأة العَزيزِ أرَادَتْ سِجنَه، ولكنَّهَا كَانَت مُشفِقَة عَليهِ من العَذَاب، لِذَلِك أَكَّدَته بنُون التَّوكِيد

الخَفِيفَة[١].

١٨- أنَّه غَرِيب، والغَرِيبُ إذَا فعل خَطأ يَستَحِقُّ العُقُوبَة عليهِ، فيَستَطِيع أَن يَهرَب دُون أن يَترُك خَلفَه أقَارِبَه يَخشَىٰ عَليهِم العِقَاب مِن بَعدِه.

١٩- أنَّها كَفته مَؤُنَة اختِيَار الزَّمَان، فقَد رَاوَدَته وغَلَّقَت الأبوَاب وَقت غِيَاب زَوجِهَا عنِ القَصرِ.

٢٠- أنَّها استَعانَت بالنِّسوَة، فقَد طلَبنَ مِن يُوسُف فِعل الفَاحِشَة مَعهُنَّ، ومع امرأة العزِيز فيُوسُف قال: ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف:٣٣]. وقال: ﴿قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ۝٥٠ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ [يوسف:٥٠، ٥١]، فالضَّمائِر في ﴿كَيۡدَهُنَّ﴾، و﴿إِلَيۡهِنَّ﴾، و﴿رَٰوَدتُّنَّ﴾ عَائِده إلىٰ النِّسوَة وامرَأةِ العَزيز، وأيضًا في قَولِه تَعالىٰ: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ﴾ [يوسف:٣٣] فنُون النِّسوة في ﴿يَدۡعُونَنِيٓ﴾ عائد إلىٰ النِّسوة وامرَأة العَزيز.

- **كلُّ مَن لَه تَعلُّق بالوَاقِعَه فقَد شهِد ببرَاءَة يُوسُف.**

والـذين لهُـم تَعلُّـق بهـذه الوَاقِعَـة هُـم: يُوسُـف، وامـرأةُ العَزيـزِ،

---

(١) وفي حاشية الصبان علىٰ شرح الأشموني (١/ ٦٢): «قوله: ﴿لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا﴾ قيل أكدت في الأول بالثقيلة لقوة قصدها سجنه وشدة رغبتها فيه، وفي الثاني بالخفيفة لعدم قوة قصدها تحقيره وإهانته وعدم شدة رغبتها في ذلك لما عندها من المحبة له».

وزَوجَها، والنِّسَوَة، والشَّاهِد مِن أَهلِ المَرأة، ورَبُّ العَالَمِين شَهِد ببرَاءَة يُوسُف، وَالشَّيطَان أيضًا أقرَّ بِبرَاءَة يُوسُف عن المعصية:

١- بيَانُ يُوسُف قَولُه: ﴿هِىَ رَٰوَدَتۡنِى عَن نَّفۡسِى﴾ [يوسف:٢٦]، وقولُه: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِىٓ إِلَيۡهِ﴾، وقوله: ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّى كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ﴾ [يوسف:٣٣]، أَصبُ فِعل مُضَارع للحَال أَو الاستِقبَال، فدلَّ ذَلِك علَىٰ أنَّه قَبل ذَلِك لَم يَصبُ، فهُو يَخشَىٰ منَ الصَّبوِ في الحَالِ أوالمُستَقبَل، والصَّبوُ[1] هُو مَيل القَلبِ، وفي مَقاييس اللُّغَة لابنِ فَارِس (٣ / ٣٣٢): صبَا إِلَىٰ الشَّيء يَصبُو؛ إذَا مَال قَلبُه إِليه، وقَال القُرطُبي في تَفسِيره (٩ / ١٨٥) : ﴿أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ﴾ جواب الشَّرط، أي: أمِل

(١) قال السمين الحلبي في الدر المصون (٦ / ٤٩٣): «قوله: ﴿أَصۡبُ﴾ قرأ العامة بتخفيف الباء من صبا يصبو، أي: رق شوقه. والصبوة: الميل إلىٰ الهوىٰ، ومنه «الصبا» لأن النفوس تصبو إليها أي: تميل، لطيب نسميها وروحها». قال السمين الحلبي في الدر المصون (٦ / ٤٩٤): «وقرأت فرقة «أصب» بتشديدها من صببت صبابة فأنا صب، والصبابة: رقة الشوق وإفراطه كأنه لفرط حبه ينصب فيما يهواه كما ينصب الماء». وقال ابن دريد: «والصبوة: رقة الحب، والصبابة: رقة الهوىٰ، وصبا فلان صبوة من الصبابة» (جمهرة اللغة لابن دريد ٢ / ١٠٢٤) وقال ابن منظور: «وفي حديث هوازن: قال دريد بن الصمة: ثم الق الصبىٰ علىٰ متون الخيل».
أي الذين يشتهون الحرب ويميلون إليها ويحبون التقدم فيها والبراز.
وفي الحديث: «وشاب ليست له صبوة»، أي: ميل إلىٰ الهوىٰ، وهي المرة منه (لسان العرب ١٤ / ٤٥٠ ، ٤٥١) وفي (العين للخليل ٧ / ١٦٩) : «الصبا: ريح تستقبل القبلة، وصبت تصبو علىٰ معنىٰ أنها تحن الىٰ البيت لاستقبالها إياه» وفي (المعجم الوسيط ١ / ٥٠٧): «فلان صبوا وصبوة مال إلىٰ اللهو وإليه حن وتشوق وفي التنزيل العزيز: ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّى كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ﴾».

إِلَيهِن، مِن صَبَا يَصبُو، إِذَا مالَ واشتَاقَ صَبْوا وصَبوَة، قال الشاعر:

إِلَى هِنْدٍ صَبَا قَلبِي وهِندٌ مِثلُهَا يُصْبِي

٢- شَهادَة المَرأَة: قَولُها لِلنِّسوَة: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ [يوسف:٣٢]، استَعصَم علىٰ وَزن (استَفعَل)، ووَزن (استَفعَل) مِن مَعانِيه المُبالَغَة في الفِعل، ومَعنىٰ استَعصَم أي: بَالَغ في الامتِنَاع عن فِعل فَاحِش أو قَولٍ فَاحِش، وقولُها لِلمَلِك: ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [يوسف:٥١] ومَعنَىٰ حَصحَص: ظَهَر وبَرزَ وانكَشفَ وتَبيَّن واتَّضَح.

٣- شَهادَة العَزيزِ - زَوج المَرأَة - قوله: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ [يوسف:٢٨، ٢٩] فقَد طَلب مِن يُوسُف أن يَستُر زَوجَتَه، ولَا يُخبِر أحدًا بأنَّها رَاوَدَته، ثمَّ طلَب مِن زَوجَتِه الاستِغفَار لذَنبِهَا؛ لإنَّها كانَت من الخَاطِئين، فلَو حَدثَ مِن يُوسُف شيءٌ فَاحِشٌ لطَلَب مِنه الاستِغفَار.

٤- شَهادَة الشَّاهد من أهلِهَا: ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [يوسف:٢٧] فقَد وَجد القَميصَ قُدَّ مِن دُبرٍ.

٥- شَهادَة اللهِ تَعالَىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٤] فقَولُه سُبحَانَه: ﴿لِنَصْرِفَ﴾ تَوكِيد لِلفِعل بلَام التَّوكِيد، ﴿ٱلسُّوٓءَ﴾: مُقدِّماتِ الفَاحِشَة مِن حَديثِ نَفسٍ وتَحرُّك الشَّهوَات والغَرَائِز الكَامِنَه دَاخِل الجَسَدِ، ونَظرةٍ مُحرَّمة،

وكَلَام مُحرَّم، وقُبلَة، إلىٰ غيرِ ذلِك، كلُّ ذَلِك مُنتَفِي في حقِّ يُوسُف، والفَحشَاء هِي: إِيلَاج الَحشفَة في فَرجِ امرَأةٍ لَا يَحلُّ لَه أَن يَطَئَهَا[١]،

---

(١) الزنىٰ: الفجور.

وهذه لغة أهل الحجاز، وبنو تميم يقولون: زنىٰ زناء: ويقال: زانىٰ مزاناة، وزناء بمعناه.

وشرعا: عرفه الحنفية بتعريفين: أعم، وأخص. فالأعم: يشمل ما يوجب الحد وما لا يوجبه، وهو وطء الرجل المرأة في القبل في غير الملك وشبهته.

قال الكمال بن الهمام: ولا شك في أنه تعريف للزنىٰ في اللغة والشرع.

فإن الشرع لم يخص اسم الزنىٰ بما يوجب الحد منه بل هو أعم. والموجب للحد منه بعض أنواعه. ولذا قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم إن الله كتب علىٰ ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر. . .الحديث. ولو وطئ رجل جارية ابنه لا يحد للزنا، ولا يحد قاذفه بالزنا، فدل علىٰ أن فعله زنا وإن كان لا يحد به.

والمعنىٰ الشرعي الأخص للزنىٰ: هو ما يوجب الحد، وهو «وطء مكلف طائع مشتهاة حالا أو ماضيا في قبل خال من ملكه وشبهته في دار الإسلام، أو تمكينه من ذلك، أو تمكينها». وعرفه المالكية: بأنه وطء مكلف مسلم فرج آدمي لا ملك له فيه بلا شبهة تعمدا.

وهو عند الشافعية: إيلاج حشفة أو قدرها في فرج محرم لعينه مشتهىٰ طبعا بلا شبهة.

وعرفه الحنابلة: بأنه فعل الفاحشة في قبل أو في دبر.

وعرفه الشافعية بأنه: إيلاج الذكر بفرج محرم لعينه خال عن الشبهة مشتهىٰ طبعا.

ويتفق اللواط والزنا في أن كلا منهما وطء محرم، لكن اللواط وطء في الدبر، والزنا وطء في القبل.

(الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٤ / ١٨ ، ٣٥ / ٣٣٩ – ٣٤٠) ، (مغني المحتاج ٥/ ٤٤٢) ، (كشاف القناع ٦/ ٨٩)، (الروض المربع ١ / ٦٦٤).

فَالسُّوء هُو مُقدِّمَات الزِّنَا والفَحشَاء هِي الزِّنَا والفَاحِشة، وقَولُه تَعالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ تَوكِيد بـ(إنَّ)، و(عِبَادِنَا) لِلتَّشرِيف والتَّكرِيم، و(المُخلَصِين) أي: أنَّ اللهَ استَخلصَه لِنفسِه واصطَفَاه دُون خَلقِه.

٦- شهَادَة إِبلِيس، فإِبلِيسُ قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص:٨٢، ٨٣]، ويُوسُف مِن عبادِ اللهِ المُخلَصِين، فاللهُ تَعالَىٰ قالَ عَن يُوسُف: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ فدلَّ ذلك علىٰ أن إِبلِيس مَا أضلَّ يُوسُف ومَا أَغوَاهُ وأنَّه ليسَ لَه سُلطَان علَىٰ يُوسُف، أمَّا قَولُه تعالىٰ: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف:٤٢] فهُو الذي ظنَّ أنَّه نَاج مِنهُما، ولَيس يُوسُف، لأنَّ اللهَ قال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ﴾ [يوسف:٤٥] فقوله: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ أي تِذكَّر بعدَ مُدَّة منَّ الزَّمَن، أي: أنَّه هُو الذِي نَسِي ثمَّ تَذكَّر.

٧- شهادة النِّسوَة قال تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾ [يوسف:٥٠، ٥١]، قول النسوة: ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾، (ما): نَافِيه، (عَلِمنَا): فِعل وفاعِل، (عَليهِ): جارٌّ ومَجرُور، (من): حَرف جرٍّ زَائِد لِلتَّوكِيد، (سُوء): مَفعُول بِهِ مَنصُوب مَحِلًّا مَجرُور لَفظًا بـ(مِن) الزَّائِدة.

(سُوء) نكرَة في سِيَاقِ النَّفي والنَّكرَة في سِيَاق النَّفي تُفِيد العُمُوم،

فالنِّسوَة نَفَينَ كلَّ أنوَاع السُّوءِ عن يُوسُف، (مِن): حَرف جر زائِد لِلتَّوكِيد، فكَلمَة سُوء أُكِّدَت بـ(مِن)، فالنِّسوَة أكَّدن نَفي جَمِيع أنوَاع السُّوء عَن يُوسُف، فيَشمَل ذلِك مُقدِّمَات الزِّنَا والزِّنَا. ومَا قِيل في كُتُب التَّفسِيرِ من تَجرُّد يُوسُف من ثيَابِه كلُّه بَاطِل يُعارِض شهَادَة اللهِ، ثم شَهادَة يُوسُف، والشَّاهِد مِن أهلِ المَرأَة، وامرَأة العَزيزِ، والنِّسوَة، والعَزِيز، وإبلِيس.

قوله تعالىٰ: ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [يوسف:٢٣].

﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ أَعُوذ باللهِ مَعاذًا.

وفي هذِه الآيَة تَرتِيب حَسَن حَيثُ ذَكَر:

١- حقُّ اللهِ، فقَال: مَعاذَ اللهِ أَن أَفعَل الفَحشَاء، فاللهُ قَد حرَّمها.

٢- حَقُّ الخَلقِ، فَالعَزيز قد أَنعَم عليهِ وأَحسَن إليهِ، قال تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِى مَثۡوَىٰهُ ﴾ [يوسف:٢١]، فيَقبح مُقابَلَة إِحسَان العَزيز بِالإِسَاءَة والخَيانَة لأَهلِه.

٣- أن فِعل المَعصِيَة يَعقُبُه الخِزي في الدُّنيَا والعذَاب الأَلِيم في الآخِرَة، فَاللَّذَّة زَمَن قَلِيل يَعقبُه نَدَم إلَىٰ المَمَات، وعَذَاب في الآخِرَة، كما قال الشَّاعر:

تَفْنَىٰ اللَّذاذَةُ مِمَّنْ نالَ صَفْوَتَها
مِنَ الْحَرامِ وَيَبْقَىٰ الْإِثْمُ وَالْعارُ
تُبْقِي عَواقِبَ سَوْءٍ فِي مَغَبَّتِها
لا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِها النَّارُ

ولمَّا كانَ تَركُ المَعصِيَة يَعقُبُه لذَّة وسُرُور في النَّفسِ وطُمَأنِينَة في القَلبِ وانشِرَاح في الصَّدرِ؛ كان علىٰ العَاقِل أَن يَختَار تَرك اللَّذَّة المُحرَّمة لما يَعقُبها من عزٍّ في الدُّنيا ونَعيمٌ مُقيمٌ في الآخِرَة.

قال ابنُ القيِّم: «الصَّبرُ نوعَانِ: اختِيَارِي واضْطرَارِي، والاختِيَارِي أَكمَل منَ الاضْطِرَارِي، فإنَّ الاضْطِرَارِي يَشتَرك فيهِ النَّاس، ويتَأتَّىٰ ممَّن لَا يتَأتَّىٰ منه الصَّبر الاختِيارِي، ولِذَلك كاَن صَبرُ يُوسُف الصِّديقُ عليه السلام عَن مُطاوَعَة امرَأةِ العَزيزِ وصَبره علىٰ مَا نَالَه في ذَلِك منَ الحَبسِ والمَكرُوه؛ أَعظَم مِن صَبره علىٰ ما نَالَه مِن إخوَتِه لمَّا أَلقُوه في الجبِّ وفرَّقوا بينَه وبينَ أَبيهِ، وبَاعُوه بيعَ العَبدِ»[١].

- **والصبر ثلاثة أنواع:**

١- صَبرٌ علىٰ الطَّاعة.

٢- صَبرٌ عَن المَعصِيةِ.

٣- صَبرٌ علَىٰ الأَقدَارِ المُؤلِمَة.

ويُوسُف جمعَ كلَّ أنوَاع الصَّبر، فصَبر عَلىٰ الطَّاعَه في دَعوتِه إلَىٰ اللهِ قال تعالىٰ: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ

---

(١) عدة الصابرين (٣٣).

ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف ٣٧- ٤٠]، وصَبَر يُوسُف عن المَعصِيَة حيثُ صَبر عن مُرَاوَدة امرأةِ العَزيزِ والنِّسوة، وصَبرُه علَىٰ الأَقدَار المُؤلِمة حيثُ صَبر علىٰ أَذَىٰ إخْوَتِه لهُ وإلقَائِهم لَه في البئرِ.

● **ومن دلائل براءة يوسف:**

١- أنَّ يُوسُف آتاه الله حُكمًا وعِلمًا، قال تعالىٰ: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [يوسف:٢٢] فكَيفَ تُحدِّثه نَفسُه بقولِ فاحشٍ أَو فِعل فَاحِش.

- (بَلَغَ أَشُدَّهُ) أي: بَلَغَ المُنْتَهىٰ في القُوَّة والشَّباب.

٢- اللهُ سبُحانَه وتَعَالىٰ بَعد أَن ذَكر قَولَه: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ قال: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ فإن حصَل مِن يُوسُف همٌّ لمَا مَدحَهُ اللهُ.

٣- أنَّ الأنَبياءَ إن حدَث مِنهُم هَفوَة أَو زَلَّة؛ أَتبعُوهَا بِالاستِغفَارِ والتَّوبَة، أمَّا يُوسُف فلَم يُذكَر أنَّه استَغفرَ مِن شَيءٍ.

٤- أنَّه إذَا كانَ هُناكَ رجلٌ أَحسَن إلَىٰ صبيٍّ، ورَبَّاه وكفَاهُ مُؤنَة الطَّعام والشَّرَاب والكِسَاء والمَسكَن حتَّىٰ كَبُر ذَلِك الصَّبِي ثمَّ خَان مَن أَحسَن إِليهِ لكَانَ ذَلِك قَبيحًا في حقِّ ذلك الصَّبِي، فيُوسُف كانَ صبيٌّ عِندَما جَاء إلَىٰ مِصر وأَكرَمَه العَزِيز، قال تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ ﴾ [يوسف:٢١] فلَو حَدثَ مِن يُوسُف مَا يُستَقبَح لكَانَ ذَلِك قَبيحًا في حقِّه.

قال تعالى:

﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [يوسف:٥٣]

فهذَا مِن قولِ امرأةِ العزيزِ، وليسَ من قول يُوسُف[١]، ذلك لأنَّ المَلك بعدمَا وقعَت رؤيَا السَّجِينان كمَا فسَّرها يُوسُف، وفَسر يُوسُف رُؤيا المَلك مُوافِقَة لِلعَقل الصَّريح؛ طَلَب المَلك من الرَّسول أن يُخرِج يُوسُف من السِّجن فأَبىٰ يُوسُف الخُروج، وطلبَ منَ الرَّسُول أن يَطلُب من المَلِك أن يَسأَل النِّسوَة، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ﴾ [يوسف:٥٠] فرجَع الرَّسُول وأَخبَر المَلِك بمَا أرادَ يُوسُف، فجمَع المَلِك النِّسوَة، وفي ذلك الوَقت كان يُوسُف في

---

(١) قال شيخ الاسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوىٰ (١٥ / ١٤٩– ١٥٠): «قوله: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ إنما يناسب حال امرأة العزيز لا يناسب حال يوسف فإضافة الذنوب إلىٰ يوسف في هذه القضية فرية علىٰ الكتاب والرسول وفيه تحريف للكلم عن مواضعه وفيه الاغتياب لنبي كريم وقول الباطل فيه بلا دليل ونسبته إلىٰ ما نزهه الله منه وغير مستبعد أن يكون أصل هذا من اليهود أهل البهت الذين كانوا يرمون موسىٰ بما برأه الله منه فكيف بغيره من الأنبياء؟ وقد تلقىٰ نقلهم من أحسن به الظن وجعل تفسير القرآن تابعا لهذا الاعتقاد» انظر أقوال العلماء في تضعيف روايات كتب التفسير في هذا الكتاب صفحة ١٣٨ وما بعدها.

السِّجن، فسَأَل المَلِكُ النِّسوَة وامرأةَ العزيز، فأَجَبْنَ ببراءة يُوسُف، قال تعالىٰ: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف:٥١، ٥٣]، فَالكَلامُ كَلام امرأةِ العَزيز، ففِي الجُملَة خَمسَة ضمَائر أربعَة بارِزَة، وضمِير مُستَتِر، والخَمسَة ضمَائر للغَائِب، وهِي الهَاء في قوله: (رَوادْتُه، نَفسُه، إنَّه، أَخُنْهُ)، والضَّمير المُستَتِر (هُو) في قَولِه: (لِيعلَمَ)، وهذِه الضَّمَائِر كلهَا عَائدَه إلَىٰ يُوسُف، فما بعدَها عائد إلىٰ يُوسُف، فتوحِيد مَرجع الضَّمائِر أَولَىٰ مِن تَفريقِها.

وبَعد أن انْتَهَىٰ الحِوَار بَينَ المَلِك وامرأةِ العزيزِ والنِّسوة، قال الملك: ﴿ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾ [يوسف:٥٤]، فذهَبَ الجُنود وأخرجُوا يُوسُف، ووقَف يُوسُف بينَ يَدي المَلك، فقَال له المَلِك: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾، فرد عليه يُوسُف وقال: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾.

إذًا فقول: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف:٥٢، ٥٣] قول امرأةِ العزيز، فقَد اعتَذَرَت عن نَفسِهَا، فقالت: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾، واعتذَرَت عن يُوسُف، فقالت: ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، ثم بيَّنَت سَبب مُراوَدَتِها ليُوسُف، وهُو

نفسُهَا الأمَّارَة بالسُّوءِ، فقالَت: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾.

أمَّا من قال: إنَّه من قولِ يُوسُف، فقَالُوا علَىٰ التَّقدِيم والتَّأخِير، وذَكرُوا رِوَايَة وَردَت، وهِي أنَّ يُوسُف أثنَىٰ علىٰ نَفسِه، فقَال لَهُ جِبرِيل: ولَا يَوم هَمَمتَ بحَلِّ سِراوِيلِك، فقَال يُوسُف: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ فهذِه رِوايَة ضَعيفَة ضعَّفها ابن تَيمية، والشَّيخ مُحمَّد الأَمِين الشَّنقِيطِي، وأبُو حيَّان الأَندَلُسي، وابنُ الجَوزي، والفَخر الرَّازِي، وأبومنصور الماتريدي وغيرُهم، كَذلك مَا رُوِي مِن أن يُوسُف تَجرَّد مِن ثيَابِه، وقَعدَ بينَ رِجلَي امرَأةِ العَزيز، فذَلِك ضَعيفٌ ضعَّفه مَن ذَكرتُهُم من العَلمَاء، وأيضًا القَولُ ببقَاء الكَلامِ علَىٰ مَا هُو عَليهِ أَولَىٰ مِن القولِ بِالتَّقدِيم والتَّأخِير.

وقد يُعترَض علىٰ ذَلِك فيُقال كَيفَ يكُون ذَلِك القَولُ قَولَها، وقَد قَالَت: ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾، وهِي امرأة كَافِرَة، فيُوسُف قالَ لِلسَّجِينانِ: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]، وقال: ﴿إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٣٧] ، فامرأة العزيز كانَت كَافرةً هِي وزَوجها والنِّسوَة والسجينان، فكيفَ تقول: ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [يوسف:٥٣]، **فالجَواب:** أنَّها كَافِرة تَعبُد الله وتُشرِك مَعهُ غَيره في العبَادَة فيُوسُف قالَ لِلسَّجِينانِ: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا

تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف٣٩-٤٠]، فقوله: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ دليل علىٰ أنهم كانوا يعبدون الله وآلهة أخرىٰ فهم مِثل كُفَّار قُرَيش، وأيضا زَوجَها قالَ لها: ﴿وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ أي: تستَغفِر اللهَ.

قول امرأةِ العزيزِ: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [يوسف:٥١]، أي: لمِنَ الصَّادِقِين حينمَا قال يُوسُف للعَزيز: ﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾، وكان ذَلِك في حضورِ يُوسُف وامرأة العزيز، أمَّا الآن فيُوسُف غَائِبٌ في السِّجنِ.

قالَت امرأةُ العزيزِ: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي اعتِرافي ببراءَة يُوسُف ﴿لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ ليَعلَم يُوسُف أنِّي لم أَخُنْه وهو غائِب في السِّجنِ، إذ قد خُنتُه وهُو حَاضِر مَعي عندَ العَزيز (زَوجِي)، ثمَّ لامَت نَفسَها، وقالت: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [يوسف:٥٢] ثم بيَّنَت سَبَب مُراوَدتها ليُوسُف، فقالت: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف:٥٣]، أي: نَفسهَا التي أَمرَتَها بالسُّوء.

ولَا يُوجَد روَاية مَرفُوعة إلىٰ النَّبِي ﷺ سَواء كانَت رِوَاية صَحِيحَه أو ضَعِيفَه فِيهَا مَعنَىٰ همِّ يُوسُف، بل مَا ذَكَر نَبيُّنا ﷺ يُوسُف إلَّا في مَوضِع الثَّناء والمَدح.

عن أبي هُريرَة رَضِيَ اللهُ عَنهُ قال: قال رَسُول الله ﷺ: «لَو لَبِثْتُ فِي

السَّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ ثُمَّ أَتَانِي الدَّاعِي لَأَجَبْتُهُ» [صحيح البخاري ٦٩٩٢ (٩ / ٣٢)].

عَن أَبِي هُرِيرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَكْرَمُهُمْ أَتْقَاهُمْ» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ لَيْسَ عَن هَذَا نَسْأَلُكَ. قال ﷺ: «فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللهِ ابنُ نَبِيِّ اللهِ ابنِ نَبِيِّ اللهِ ابنِ خَلِيلِ اللهِ» [صحيح البخاري ٣٣٧٤ (٤/ ١٤٧)].

أَمَّا مَن قالَ إنَّه مِن قَول يُوسُف علىٰ التَّقدِيم والتَّأخِير، وقَالُوا أنَّ التَّقدِير: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ﴾ [يوسف:٥٤]، فردَّ عليه يُوسُف وقَال: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ [يوسف:٥٥] ثمَّ أكمَل يُوسُف كَلامَه، وقال: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [يوسف:٥٣]، فسِيَاق الكَلَام لَا يَستَقِيم، واللُّغة لَا تَقبَل هذَا إِذ أنَّ بعد ﴿حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ يَستَقِيم الكَلام: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُ﴾ [يوسف:٥٦].

وقَول مَن قال إنَّه من بابِ المَوصُول لفظًا، المَقطُوع مَعنًىٰ، والتَّقدِير: ﴿قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [يوسف:٥١]، هذَا قَول امرَأة العَزِيز، ثمَّ يَأتِي كَلام يُوسُف: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ۝٥٢ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [يوسف:٥٢، ٥٣]، فهذَا بَاطِل فسيَاق الكَلَام لا يدلُّ عليه، ويُوسُف كان

في السِّجنِ وغَائبًا عن مَجلِس المَلِك وامرَأة العَزيزِ والنِّسوة.

وبَابُ المَوصُول لفظًا المَقطُوع معنىٰ مِثل قَول اللهِ عَن مَلِكَة سَبَأ أنَّها قَالَت: ﴿إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ [النمل:٣٤]، فقَولُه تعالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗ﴾، قَول مَلِكَة سَبَأ، فقَال اللهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾، تَصدِيق وإقرَار الله تعالىٰ لقَولِ مَلكَة سبَأ، ومِثل قَولِه تعالَىٰ: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة:١٢٦]، فقولُه تعالىٰ: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾، قولُ إبرَاهِيم، أمَّا قَوله تعالىٰ: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾، هذا قول الله رَادًّا علىٰ إبرَاهِيم، بأن الله سَيرزُق المُؤمِن والكَافِر في الدُّنيَا، ولكنَّ الكَافِر في الآخِرَة عَاقبتُه النَّار.

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [فصلت:٢١].

فقوله تعالىٰ: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ قول الجُلُود، وقولُه تعالىٰ: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ قول الله.

قال تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡۖ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [الأعراف:١٠٩-١١١].

فقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡ﴾،

قول المَلأ مِن قَوم فِرعَون، وقوله تعالىٰ: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ قَول فِرعَون، ذَلك لأنَّ فِرعَون كان حاضرًا مع المَلأ مِن قَومِه في ذلك المكَانِ الَّذي اجتَمعُوا فيه.

أمَّا يُوسُف فقَد كان في السِّجن، ولم يكُن حاضرًا معَ المَلِك وامرأةِ العزِيز والنِّسوة.

فانظُر إلىٰ سيَاق هذه الأمثِلَة، وسِيَاق سُورة يُوسُف ستَجِد أنَّ الكَلامَ يَستقيمُ في الأمثِلةِ في أنَّه مِن باب المَوصُول لَفظًا المَقطُوع مَعنًىٰ، أمَّا في سورة يُوسُف فَالسِّيَاق لَا يدلُّ علىٰ أنَّه من بابِ المَوصُول لفظًا المَقطوعُ مَعنًىٰ.

والرِّوايةُ التي فِيهَا أن يُوسُف قال: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ فردَّ عليه جِبريلُ وقال: (ولَا يومَ هَمَمْتَ بحلِّ سَرَاوِيلِك)، فقال يُوسُف: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فهذِه رِواية ضَعيفَه، فهِي من طَريقِ سِمَاك بنِ حَربٍ، عَن عِكرِمَةَ، عَن ابنِ عبَّاس، وسِمَاك مُضَّطرب في حَديثِه عَن عِكرِمة، فهِي رِوايَة ضَعِيفَة، وإن ثَبَتَت فهِي ممَّا تلقي مِن كُتبِ أَهلِ الكتَابِ المُحرَّفة.

- **قَد يقُول قَائل**: إنْ لَم يَحدُث مِن يُوسُف هَمٌّ فلِمَ قَال الله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾؟

والجواب: حتَّىٰ لَا يظنُّ أحدٌ أنَّه لَم يَحدُث مِنه (هَمٌّ) لعَجزٍ في جَسدِهِ، ولكِن لخَشيَتِهِ للهِ، فهُو إنسَان لدَيه شَهوة ومَيل غَريزي إلىٰ

النِّسَاء، ورغم ذَلِك لَم تَتحرَّك شَهوَاتُه، ولَم تُحدِّثْه نَفسُه بشَيءٍ لشِدَّة خَشيَتِه من الله، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ ومَن أعلَم بالله ممَّن أتاه اللهُ حُكمًا وعِلمًا وعلَّمَه مِن تَأوِيل الأَحادِيث، وقَال عنه: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.

وقال تعالىٰ عن يَحيىٰ بن زَكريَّا: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران:٣٩] امتَدحَه اللهُ بأنَّه حَصورٌ، أي: مَانِع نَفسِه عن الشَّهواتِ، وعن الزَّوَاج، فلَو كان يحيىٰ عَاجزًا عَن إِتيَان النِّساء مَا امتَدحَه اللهُ بأنَّه حَصُور.

(حَصُور) والحَصُور والحَصْر في اللُّغَة الحَبس، يُقَال: حَصَره يَحصُرُه حَصْرًا، وحَصَر الرَّجُلُ، أي: اعتقَل بَطنَه، والحَصُور الذي يَكتُم السِّرَّ ويَحبِسُه، والحَصُور الضَّيِّق البَخِيل، فيحيىٰ لَدِيهِ شَهوَة وقُدرة علَىٰ إِتيَان النِّسَاء، ورَغم ذَلِك كانَ حَصُورًا يَحبِس نَفسَه ويَمنَعهَا، و(حَصُور) علىٰ وَزن (فَعُول) صِيغَة مُبالَغَة، مِثل: (أَكُول)، أي: كَثِير الأَكلِ، و(شَرُوب) أي: كَثِيرُ الشُّربِ، و(ظَلُوم) أي: كَثِير الظُّلمِ، كَذَلِك (حَصُور) أي: كَثِير الحَصْر، أي: كَثِير حَصرِ نَفسِه عنِ الشَّهوَات، وعَنِ النِّسَاء لِعفَّتِه وزُهدِه، فـ(حَصُور) بمَعنَىٰ فَاعِل، أي: حَاصِر، ولَيسَت بمَعنَىٰ مَفعُول (مَحصُور)، مِثل: (رَكُوب) بمعنَىٰ (مَركُوب)، و(حَلُوب) بمَعنَىٰ (مَحلُوب)، وهذَا بَاطِل؛ لأَنَّه يدلُّ علَىٰ أَنَّ يَحيَىٰ كانَ عَاجزًا عَن إِتيَان النِّسَاء، فهُو مَحصُور، ولكنَّ الحَقَّ الذِي لَا مِريَة فِيه أنَّه (حَصُور) بمَعنَىٰ (حَاصِر) فَاعِل، أي كانَ قَادرًا علَىٰ

إِتيَان النِّسَاء لكنَّه امتَنَع لِعفَّتِه وزُهدِه وخَشيَتِه للهِ، فاللهُ امتَدحَه بذَلِك، فقَال: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ وكَذلِك يُوسُف كانَ قَادرًا علَىٰ فِعل الفَحشَاء، ولكنَّه امتَنَع لِعفَّتِه وزُهدِه وخَشيَتِه للهِ.

وقَد كانَ مِن عُلمَاء المُسلِمين مَن كانَ قَادرًا علَىٰ الزَّواجِ من حيثُ مَيلِه الغَريزِي إلىٰ النِّسَاء، ولكنَّه لَم يَتزوَّج لشدَّة خَشيَتِه للهِ وانشِغَالِه بطَلبِ العِلمِ، مِثل شَيخ الإسلَام ابنِ تَيميَّة، والنَّوَوِي، وابنِ جَرير الطَّبرِي، والزَّمَخْشَرِي، وغيرهم[(١)].

• الملك رجل والعزيز رجل آخر، للأوجه التالية:

١- اختِلاف الأَلفَاظ وتِكرَار لَفظِ كل مِنهُما، فلَفظ المَلِك وَرد خَمس مَرَّات، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ وقال تعالىٰ: ﴿قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾ وقال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ ووَرَد لفظ العَزِيز مرَّتَين، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ وقال تعالىٰ: ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾.

٢- أن يُوسُف طَلَب من المَلِك أن يَجعلَه علىٰ خَزائِن الأرضِ، وأجَابَ المَلِك طَلَب يُوسُف فجعلَه علىٰ خزائِن الأرضِ، وإخوَة

---

(١) للشيخ عبدالفتاح أبوغده كتاب (العلماء العزاب الذين آثروا العلم علىٰ الزواج) ذكر فيه كثير من العلماء الذين انشغلوا بالعلم ولم يتزوجوا.

يُوسُف عندَما جاءُوا إليهِ نَادوا يُوسُف بِلفظِ العزيز: ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا﴾ وقالوا أيضًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ فالذي ولَّىٰ يُوسُف ذلِك المَنصِب هو المَلِك، فدلَّ ذَلِك علىٰ أن المَلِك أَعلَىٰ رُتبَه من العَزيزِ، فيُوسُف عَزيز وزَوج المَرأَة التي رَاوَدَت يُوسُف يُلقَّب بالعَزِيز، فدلَّ ذَلِك علىٰ أن المَلِك رَجلٌ والعَزيزُ رجلٌ آخر، وأنَّ المَلِك أَعلَىٰ رُتبَه من العَزيز.

٣- أن يُوسُف قال للسَّجِين الذِي ظنَّ أنَّه نَاجٍ مِنهُما: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ فأَضَاف إلَىٰ كَلمَة (رَبِّ) كَاف المُخاطَب الدَّالَّة علىٰ التَّخصِيص، فدلَّ ذَلِك علىٰ أنَّ ربِّ السَّجِين لَيس ربَّ يُوسُف، وأيضًا لما جاءَ الرَّسول ليُخرِج يُوسُف من السِّجنِ قالَ لَه يُوسُف: ﴿قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ﴾ فكلِمَة (رَب) ذُكِرَت في مَقام وَاحدٍ علىٰ لسَان يُوسُف مرَّتَين، وأضَافَ إلىٰ كلٍّ مِنهُما ضمِير مُختَلِف عَن الآخَر، فكَلِمَة (رَب) الأُولَىٰ أَضافَ إِليهَا كافَ المُخاطَب، وكَلمَة (رَب) الثَّانيَة أَضافَ إِليهَا يَاء المُتكلِّم، فلَو كانَ الرَّبُّ وَاحدًا لقَالَ (ربِّي)، أو (رَبِّنا) في اللَّفظَين الأوَّل والثَّانِي، فمَعنَىٰ الآية ارجِع إلَىٰ رَبِّك (سَيِّدِك) المَلِك فاسْألْه مَا بَال النِّسوَة اللَّاتِي قَطَّعن أَيدِيهنَّ، فإنَّه لَا يَدرِي مَا حَدث ولَا يَدرِي أني بَرئٌ، ولكنَّ (رَبِّي) سيِّدي العَزيز يَعلَم أنِّي بَرئٌ، فهُو بكَيدِهِنَّ عَلِيم، وهُو الذِي قَال: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ﴾.

٤- أن المَلِك قال بعدَ أن عَلِم بَراءَة يُوسُف: ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ

لِنَفۡسِيۖ﴾ فدلَّ ذَلِك علَىٰ أنَّ يُوسُف قَبل ذَلِك لَم يَكُن خَالصًا لَه، بَل كانَ عبدًا لغَيرِه، وهُو العَزيز.

- **وهنا مسألة يتطرق الحديث لها وهي:**

أن يُوسُف فسَّر الرُّؤيَا لِلسَّجِينَينِ، ووَقعَت كمَا فَسَّرهَا، ثمَّ فسَّر الرُّؤيا للمَلِك وكَانَت مُوافِقَه لِلعَقلِ الصَّرِيح، فشكَّ المَلِك في بَرَاءَة يُوسُف، إذ لو كانَ يُوسُف خَبِيث النَّفس لمَا وَقعَت الرُّؤيَا كمَا فسَّرها لِلسَّجينَينِ، فدلَّ ذلِك علَىٰ طَهارَة نَفسِ يُوسُف، فأرادَ المَلِك مُكافَأة يُوسُف بإخْرَاجِهِ منَ السِّجنِ، ولمَّا أَرسَل الرَّسولَ ليُخرِج يُوسُف من السِّجن وأبَىٰ يُوسُف الخُرُوج ترجَّح لدَىٰ المَلِك بَراءَة يُوسُف، إذ لَو كانَ يُوسُف غَير بَرِيءٍ لمَا أبَىٰ الخُرُوجَ من السِّجنِ ولما طلَب أن يسأَل المَلك النِّسوة، فانتَقَل المَلِك من شكِّه في براءَة يُوسُف إلىٰ ظنِّه براءة يُوسُف، وبعد أن اعترفَ النِّسوة وامرأة العزيزِ للمَلك ببراءَة يُوسُف تيقَّن المَلِك وعَلِم عِلم اليَقِين ببرَاءَة يُوسُف، فقال: ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾، أمَّا في المرَّة الأُولىٰ بعد أن فسَّر الرُّؤيَا قال: ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ﴾ ففِي المرَّة الأُولىٰ أرادَ إِخرَاجَه من السَّجنِ، ومكافَئَتِه علىٰ تَفسِيرِه الرُّؤيَا، وأمَّا في المرَّة الثَّانية أرادَ إخرَاجَه من السِّجن وعِتقِه مِن رقِّ العزيز، وتَولِيَتِه مَنصِب لمَّا عَلِم برائَتَه وعفَّته.

اليَقِين: إِدرَاك الخَبَر علَىٰ وَجه القَطع والجَزمِ.

الظَّن: الاحتِمَال الرَّاجِح

الشَّك: تَسَاوِي الاحتَمَالِين عند الإِنسَان.

الوَهم: الاحتمال المَرجُوح.

اليَقين: ١٠٠ ٪

الظَّن: من ٥١ ٪ إلىٰ ٩٩ ٪

الشَّك: ٥٠ ٪

الوَهم: من ١ ٪ إلىٰ ٤٩ ٪



قال تعالى:

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾

[يوسف:٤٢]

(الهَاء) في (فَأنسَاه) عَائِدة إلىٰ السَّجِين الذي ظنَّ أنَّه نَاجٍ مِنهُما، وليَست عَائِدَة إلىٰ يُوسُف لوجوه:

الأوَّل: أنَّ الشَّيطَان ليسَ لَه سُلطان علىٰ يُوسُف، فكَيف يُنسِيه، قال تعالىٰ حكَايَة عَن إبلِيس: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص:٨٢، ٨٣] وقال تعالىٰ في شَأنِ يُوسُف: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾، فالشَّيطَان لَيس لَه سُلطَان علىٰ عبَاد اللهِ المُخلَصِين، ويُوسُف مِن عِبَاد اللهِ المُخلَصِين، إذًا الشَّيطَان لَيس لَه سُلطَان علىٰ يُوسُف.

الثَّاني: قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ ادَّكَر بعدَ أمَّة، أي: تذكَّر بعدَ فَترَة منَ الزَّمَن، فهذَا دَلِيل علىٰ أنَّه هُو الذِي نَسِي، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ [هود:٨] أُمَّة، أي: مُدَّة منَ الزَّمن.

قال ابن منظور في لسان العرب (٤ / ٣٠٩) : «قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾؛ أَي ذَكَرَ بَعْدَ نِسْيان، وأَصله اذْتَكَرَ فَأُدغم».

قال أبو حيان في البحر المحيط (٦/ ٢٨٤): «وَادَّكَرَ أَيْ تَذَكَّرَ مَا سَبَقَ لَهُ مَعَ يُوسُفَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَيْ: مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ. وَالْجُمْلَةُ مِنْ قَوْلِهِ وَادَّكَرَ حَالِيَّةٌ، وَأَصْلُهُ: وَاذْتَكَرَ أُبْدِلَتِ التَّاءُ دَالًا وَأُدْغِمَتِ الذَّالُ فِيهَا فَصَارَ ادَّكَرَ، وَهِيَ قِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ».

قال السمين الحلبي في تفسيره (٦/ ٥٠٧): «(ادَّكَرَ) بدالٍ مهملة مشددة وأصلها: اذْتكَرَ افتعل مِنْ الذِّكر».

وَقَرَأَ الْحَسَنُ البصري (قراءة شاذة): وَاذَّكَرَ بِإِبْدَالِ التَّاءِ ذَالًا، وَإِدْغَامُ الذَّالِ فِيهَا

قال الأزهري في تهذيب اللغة (١٠/ ٦٥) : «قَالَ الْفراء: (مُدَّكرٍ) فِي الأَصْل مُذْتَكر علىٰ مُفتعل فصيِّرت الذَّال وتاء الافتعال دَالا مُشَدّدَة».

قال ابن منظور في لسان العرب (٤ / ٣٠٢) : «قَالَ ابْنُ الأَثير: هَكَذَا يُنْطَقُ بِهَا، بِالدَّالِ الْمُهْمَلَةِ. وأَصل الادِّخارِ اذْتِخارٌ، وَهُوَ افْتِعَالٌ مِنَ الذَّخْرِ. وَيُقَالُ: اذْتَخَرَ يَذْتَخِرُ فَهُوَ مُذْتَخِرٌ، فَلَمَّا أَرادوا أَن يُدْغِمُوا لِيَخِفَّ النُّطْقُ قَلَبُوا التَّاءَ إِلىٰ مَا يُقَارِبُهَا مِنَ الْحُرُوفِ، وَهُوَ الدَّالُ الْمُهْمَلَةُ، لأَنهما مِنْ مَخْرَجٍ وَاحِدٍ فَصَارَتِ اللَّفْظَةُ مُذْدَخِرٌ بِذَالٍ وَدَالٍ، وَلَهُمْ فِيهِ حينئذٍ مَذْهَبَانِ: **أَحدهما، وَهُوَ الأَكثر، أَن تُقْلَبَ الذَّالُ الْمُعْجَمَةُ دَالًا مُشَدَّدَةً، وَالثَّانِي، وَهُوَ الأَقل، أَن تُقْلَبَ الدَّالُ الْمُهْمَلَةُ ذَالًا وَتُدْغَمَ فِيهَا فَتَصِيرَ ذَالًا مُشَدَّدَةً مُعْجَمَةً، وَهَذَا الْعَمَلُ مُطَّرِدٌ فِي أَمثاله نَحْوَ ادَّكَرَ واذَّكَرَ، واتَّغَرَ واثَّغَرَ**».

الثَّالِث: الضَّمِير في قوله تعالىٰ: ﴿ٱذۡكُرۡنِي﴾ و ﴿فَلَبِثَ﴾ عَائِد إلىٰ يُوسُف، أمَّا الضَّمِير الهَاء في ﴿فَأَنسَىٰهُ﴾ عَائِد إلىٰ السَّجِين الذي ظنَّ أنَّه نَاج مِنهُمَا، مثل قَولِه تعالىٰ: ﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الفتح:٩]، الضَّمِير في قَولِه: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ عَائِد إلَىٰ اللهِ، والضَّمير في قوله تعالىٰ: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ عَائِد إلَىٰ الرَّسُول.

الرابع: قُرِئَ في قِراءَة شَاذَّة[1]: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾ أَمَهٍ، أي: نِسيَان، «بَعْدَ أَمَهٍ» بفَتح الأَلِف، وتَخفِيف المِيم وفَتحَهَا، بمَعنَىٰ: بَعد نِسيَان.

فالعَربُ تقُول: «أَمِهَ الرَّجُلُ يأمَهُ أمَهًا»، إذَا نَسِيَ.

«وقَالَ الطَّبرِي رُوي عَن جمَاعَة أنَّهم قَرأُوا: (بَعد أَمَهٍ) ثمَّ سَاقَ بسَندٍ صَحِيح عَن ابنِ عبَّاس أنَّه كَان يَقرؤُهَا: (بعدَ أَمَهٍ) وتَفسِيرُها بَعد نِسيَان»[2].

الخامس: رَوىٰ ابنُ جَرير رِوايَة مَرفُوعة فقَال: حدَّثنَا ابنُ وَكِيع، قال: حدَّثنا عمرٌو ابن مُحمَّد، عن إبرَاهِيم بنِ يَزيدٍ، عَن عَمرِو بنِ دِينَار، عَن عِكرمَة، عن ابنِ عبَّاس، قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «لَوْ لَم يَقُل –يعني يُوسُف– الكلمَة التي قالَها ما لَبِث في السِّجنِ طُول مَا لَبِث حتَّىٰ يَبتَغِي الفَرج مِن عندِ غَيرِ اللهِ».

قال ابن كَثِير في تَفسِيره (٤ / ٣٩١): «وهذا الحَدِيث ضَعيفٌ

---

(١) الرواية الشاذه هنا نذكرها لنعضِّد قولنا فلا نذكرها اعتمادًا.

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٢ / ٣٨٢).

جدًّا؛ لأنَّ سُفيَان بن وَكِيع الرَّاوِي عَنه ابن جَرير ضَعِيف، وإبـرَاهِيم بـن يَزِيد - هُو الخَوزِي - أَضعَف مِنه أيضًا، وقَد رَوَىٰ عن الحَسَـن وقَتَـادَة مُرسَـلًا عَـن كـلٍّ مِنهُمَـا، وهـذه المُرسَـلَات هَهُنـا لَا تُقبَـل، ولَـو قُبـل المُرسَل مِن حَيثُ هُو فِي غَير هذَا المَوطِن، واللهُ أَعلَم».

قال تعالىٰ: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [يوسف:١٠٠].

﴿نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓ ﴾، (نـزَغ) أَي أَفسَـد بَينَنَـا وأغـوَىٰ، وأَصلُه مـن نَـزغ الـرَّاكِض الدَّابَّة، وحَملَهَا علَىٰ الجَري: يُقَال: نَزغَـه ونَسـغَه إذَا نَخسَـه، فالشَّـيطَان وَسـوَس لإخـوَة يُوسُـف بـأن يَقتُلُـوه، ثـمَّ وَسوَس لَهُم بأَن يُلقُوه فِي البِئرِ، ولكِنَّه لَم يُوسوِس لِيُوسُف بشيءٍ.

قال تعـالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ﴾ [يوسف:٧٠].

- **يوسف لم يتهم اخوته بالسرقه والدليل :**

١- يُوسُف أَخبَر أَخَاه أنَّه يُوسُف واتَّفَق مَعهُ علَىٰ أَن يَجعَل السِّقَايَة فِي رَحلِـهِ قَـال تَعـالَىٰ: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [يوسف:٦٩].

٢- قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ﴾ قَول المُؤذِّن، فيُوسُف لَم يُخبِـر المُؤذِّن بأنَّه جعل السِّقَايَة في رحـلِ أَخِيـهِ، لـذَلِك اعتَقَـد المُـؤذِّن أنَّهـم

سَرقُوا، ولكن يُوسُف لم يتَّهم إخوَتِه بالسَّرِقَه بدَلِيل قَولِه: ﴿مَعَاذَ اللهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾، ولَم يَقُل: مَعاذَ الله أَن نَأخُذ إلَّا مَن سَرَقَ.



قال تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾

[يوسف: ٥٠]

(رَبُّكَ) أي: سيِّدُك المَلِك، (رَبِّي) أي: سيِّدِي العَزِيز، فالعَزِيز يَعلَم بَرَاءَة يُوسُف، ولكنَّه سَجن يُوسُف حتَّىٰ يُسكِتَ الأَفوَاه التي خَاضَت في عِرضِ امرَأتِه والنِّسوَة، ويَجعَل يُوسُف في مَوضِع الذمِّ ليقُول النَّاس: أنَّ يُوسُف هُو المُخطِئ.

«مَا فَعلَه يُوسُف من عدَم إجابَة طلبِ الملِك في الخُرُوج من السِّجنِ حَسنٌ، ومُوافِق لِلعَقل مِن وُجُوه:

الأَوَّل: أن يُوسُف لَو خرَج في الحَالِ فرُبَّما كانَ يَبقَىٰ في نفسِ المَلِك مِن تُهمَة مُراوَدَة امرَأةِ العَزيز والنِّسوَة أَثرُهَا، فقَد يُلطِّخ أحدٌ عفَّة يُوسُف بتِلك التُّهمَة، ويتَوسَّل بها إلىٰ الطَّعنِ فِيهِ.

الثَّاني: أن الإنسَانَ الذِي يَمكُث في السِّجنِ بِضعَ سِنينَ ثمَّ يُطلَب منه الخُرُوج فيأبَىٰ إلَّا أَن يَسأَل المَلك النِّسوَة فهذَا يدلُّ علىٰ طهارَتِه، وأنَّه لَم يقُل ولَم يَفعَل قَبيحًا، إذ لَو فعلَ القَبيح لخَافَ أَن يُفضَح عِندَما يَسأَل المَلِك النِّسوَة.

الثَّالِث: أنَّه دلَّ علىٰ حُسنِ خُلُق يُوسُف لأنَّه قال: ﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ

﴿ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ﴾ فهُو طَلَب منَ المَلِك أَن يَسأل النِّسوَة، ولَم يَأمُر المَلِك فَالأَمرُ مِن الأَعلَىٰ إلىٰ الأَدنَىٰ والالتِمَاس من المُسَاوِي، ذَكَر النِّسوَة ولَم يَذكُر امرأَةَ العزيزِ معَ أَنَّها سَعَت في سجنِه وهي التي أَتتْ بِالنِّسوة، لمَّا اعتَدت لهنَّ متكأً فَوصَل إليه من جِهتِهَا أنوَاع عَظيمَة من البلاءِ، ورغم ذلك لَم يَذكُرها، فذَلِك يدلُّ علىٰ حُسنِ خُلُقِه وحيَائِه، أيضًا لَم يَذكُر أن النِّسوَة رَاوَدنَه، بَل قَال: ﴿ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ﴾ دُون ذِكر مُراوَدَتِهنَّ لهُ.

الرَّابع: أنَّه يدلُّ علَىٰ صَبرِ يُوسُف، لأنَّه مَكثَ بِضعَ سِنينَ ثمَّ طَلَب مِنه الخُرُوج فأَبىٰ إلىٰ أن تَتبيَّن بَرائَتُه.

الخَامِس: أنَّه مَدَح المَلِك بقَولِه لِلرسُول: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: سيِّدك، وأيضًا أنَّه برَّأ الملك من سِجنِه، بقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ﴾ أي: سيِّدك المَلِك لَا يَدرِي أنِّي برِئٌ، ولكنَّ سيِّدي العزيز يَعلَم بَرائَتِي، ولكنْ سَجنَنِي مِن أجلِ أن يَخُوض النَّاسُ في عِرضِي ويَمدَحُون امرَأتَه»[١].



(١) تفسير الفخر الرازي (١٨ / ٤٦٦- ٤٦٧)بتصرف.

قال تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِي﴾

[يوسف:٥٤]

﴿أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِي﴾ أي: أَجعَلُه خَالصًا لِي، وأَعتِقُه مِن رقِّ العَزيزِ، وأجعَلُه من المَقرَّبين إِليَّ.

«المَلِك عَظُم اعتقادُه في يُوسُف لوُجُوه:

الأوَّل: أنه عَظُم اعتِقَادُه في عِلمِه حَيثُ عجزَ المَلأُ عن تَعبِير الرُّؤيَا، وعبَّرها يُوسُف مُوافقَة لِلعقل، وأيضًا لمَّا عَبَّر الرُّؤيا للسَّجِينَين ووَقعَت كمَا عبَّرهَا.

الثَّانِي: أنه عظَّم اعتقَادُه في صَبر يُوسُف، حيثُ مكثَ في السَّجن بضعَ سنِين، ثم طلَبَ منه المَلِك الخُرُوج فأبَىٰ إلىٰ أَن تتبيَّن بَرائَتُه مِن جمِيع التُّهَم.

الثَّالِث: أنه عَظُم اعتِقادُه في حُسن خُلُقِه؛ لأنَّه اقتَصر علَىٰ قولِه: ﴿مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ﴾ فلَم يَذكُر مُروَادَة امرَأةِ العزيزِ والنِّسوَة لَه.

الرَّابِع: بَراءَة حَالِه عَن جمِيع أَنواع التُّهم؛ لأنَّ النِّسوةَ وامرأةَ العزيزِ برَّأنَه مِن كلِّ سُوءٍ.

الخَامِس: أن السَّجِين الذي نَجَىٰ ذكَر لِلمَلِك حُسن خُلُق يُوسُف عِندَمَا صَحبَه في السِّجنِ.

السَّادِس: أن يُوسُف آثرَ أن يُسجَن علَىٰ أَن يَفعَل الفَاحِشَة»[١].



(١) تفسير الرازي (١٨ / ٤٧١ -٤٧٢)بتصرف.

قال تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾

[يوسف:٥٦، ٥٧]

﴿وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ المُحسِنين جَمع مُفرَدُه: مُحسِن، ومُحسِن اسم فَاعِل مُشتَق من الفِعل أحسَن، الذي مَصدَرُه إِحسَان، والإِحسَان عَرَّفَه النَّبيُّ ﷺ كما في حديث جِبريل: «أَن تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإِنَّهُ يَرَاكَ» فلمَّا امتنَع يُوسُف عن فِعل الفَاحِشَة معَ امرَأةِ العزيزِ فقَد كانَ في مَقَام الإِحسَانِ؛ لأنَّه كانَ يَعلَم أنَّ اللهَ يرَاه فخَوفُه مِن اللهِ كأنَّه يرَىٰ اللهَ.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ قوله تعالىٰ: ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ يدلُّ علىٰ أن يُوسُف دائمًا متقيًا للهِ حتَّىٰ في الوقتِ الذي دَعته فيهِ امرأةُ العزيز للفَاحشَة، فلَم تُحدِّثه نفسُه بشيء، وأيضًا لَم يأتِ بمُقدِّمَات الفَاحشَة البَّاطِنَة كحَدِيث النَّفس، وتَحرُّك الشَّهوَات والغرَائز الجَسديَّة، والمُقدِّمات الظَّاهرة مِثل النَّظرَة المُحرَّمَة والقُبلَة والكَلَام المُحرَّم.

قال تعالى:

﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِىۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَاۚ وَاسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِـِٔينَ﴾

[يوسف:٢٥- ٢٩]

«دَلَائِل براءَة يُوسُف من مُراوَدتِه لامرَأة العزيز كثِيرَة، لأنَّ امرأةَ العزيزِ أدَّعت أن يُوسُف أَرادَ منهَا فِعل الفَاحشَة، ولكنها امتَنعَت، ودَلائِل براءَة يُوسُف هي:

الأوَّل: أن العَزيزَ والخَدمَ قَد صحِبوا يُوسُف مُنذُ صِغرَه، وعَلمُوا أنَّه علَىٰ خُلُق عَظِيم يَمنعُه مِن مُراوَدَة امرأةِ العزيزِ.

الثَّاني: أن امرأةَ العزيزِ كانتْ في كامِل زِينَتِها، قال تَعالَىٰ: ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ وعلىٰ رِوَايَة هشَام بنِ عمَّار عن ابن عَامِر الشَّامِي ﴿وَقَالَتْ هِئْتُ لَكَ﴾ بكَسر الهاءِ وتَسكِين الهَمز وضمِّ التَاء، أي: تَهيَّئت وتَزيَّنت لكَ - فتَعدُّد القرَاءَات والرِّوايَات يَنزِل مَنزلَة تَعدُّد الآيات - فزَوجُ

المَرأة (العَزيز) بعدَ أن فتَح البَاب وَجدَ يُوسُف قَد قُدَّ قَميصُه مِن دُبُر، وامرأتُه في كَامِلِ زِينَتِها، فذَلِك دَليلٌ علىٰ أنَّها هِي التي أَرادَت فِعل الفَاحشَة.

الثَّالِث: كان يُوسُف بثِيابِه التي يَخدِم بِها، وبدُون زِينَة، فكَيف يَطلُب مِن امرَأةِ العزيزِ فِعل الفَاحِشَة بدُون أن يتَزيَّن لهَا؟

الرَّابع: أن المَرأةَ لَم تُصرِّح بمُراوَدَة يُوسُف بل لَمَّحت تَلمِيحَات، وقالَت: ﴿مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ فهِي إن كانَت صادِقَة لصرَّحَت بمُراوَدَة يُوسُف لهَا، ولكنَّها خائِنَة وكَاذِبَة، لذَلِك لَم تُصرِّح.

الخَّامس: يُوسُف صرَّح بمُراوَدة امرأَةِ العَزيزِ لَهُ، وقال: ﴿هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِي﴾ فهُو في البِدايَة لَم يُرِد فَضحَ المرأةِ ولكنَّه لمَّا خَشِيَ علىٰ نَفسِه مِن أن يَسجِنه زَوجَها (العزيز) أو يَقتُله صرَّح بأنَّها رَاوَدَته.

السَّادس: شَهادَة الشَّاهِد بأن قَميصَه قُدَّ مِن دُبُرٍ، فذَلِك دَلِيلٌ علَىٰ أنَّه كانَ يَهرَب، ولكنَّ المَرأةَ قَدَّت قَميصَه منَ الخَلفِ، فهِي تَجرِي ورَاءَه، وهو يَجرِي أَمامَها.

السَّابع: أنَّ الشَّاهِد مِن أهلِ المَرأة، ومنَ المَعلُوم أنَّ أهلَ المَرأة هم أَحرَص النَّاس علىٰ عَدم فَضحِ نِسائِهم لأنَّ ذَلك يَجلِب الخِزيَ والعَارَ لِلقَبيلَة كُلِّها، فلمَّا كانَ الشَّاهِد مِن أَهلِها كانَ ذَلِك مِن أَكبَر الأدلَّة علىٰ براءَة يُوسُف»[١].

---

(١) تفسير الفخر الرازي (١٨ / ٤٤٥) بتصرف.

قال تعالى:

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف:٣٠]

«كلَام النِّسوَة مُتضمِّن وُجُوه من المَكرِ:

١- قَولُهنَّ: ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾، ولـم يَـذكُرنَها باسـمِها لإشـهَار فِعلِها القَبيح وفَضحهَا، فهِي امرأةُ رَجل ذُو مُنصِب.

٢- قَولُهنَّ: ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾ أي: أن لهَا زَوج وهذَا قَبيح، إذ صُدُورِ المُراوَدَة من امرأةٍ لهَا زَوج أَقبَح مِن صُدُورِها من امرأةٍ لا زَوج لهَا.

٣- قَولُهنَّ: ﴿تُرَٰوِدُ﴾ فِعل مُضارِع يـدلُّ علَىٰ التَّجدُّد والاستِمرَار والـزَّمَن الحَاضِـر والمُسـتَقبَل، أي: أنَّهـا تُـراوِده حَـالًا واسـتِقبَالًا، والمَفهُوم عقلًا أنَّهـا رَاوَدتـهُ في المَاضِـي، ولكـن ذِكـر الفِعلِ المُضـارِع يدلُّ علَىٰ أنَّها دَائمًا تُراوِده مرَّة بعد مرَّة، وكثيرة المُراوَدة له.

٤- قَولُهنَّ: ﴿فَتَىٰهَا﴾ أي: أنَّه مَملُوك، وذلكَ أَقبَح ممَّـا إذَا رَاوَدت حرًّا.

٥- أنه فَتاهَا، ولَيس فتًىٰ لغَيرِها، أي: أنَّه مَملُوك لهَا يَخدِمُها، وفي قَصرِها، وذلك أقبَح ممَّا إذا كان مَملُوك لغَيرِها يَخدِم غَيرَها.

٦- قَولُهنَّ: ﴿فَتَىٰهَا﴾ أضافُوه إليهَا، ولَم يقُلـنَ فتَـىٰ العزيـزِ تَحقيـرًا لها.

٧- ﴿عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ أي: هي التي تُراوِده وتُذلُّ نَفسَها في طَلبِ فِعل الفَاحِشَة، وهُو يَمتَنِع عن فِعلِهَا عفافًا وكرمًا وحِفظًا لِمعرُوف العزيزِ الذِي أَكرمَه.

٨- ﴿قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ أي: قَد مَلك شِغافَ قَلبِها، فكأَنَّها لَا تُحبُّ نَفسهَا بَل تُحبُّه هو وَحدَه، وهذَا في غايَة الذمِّ لها.

٩- ﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ أي: إنَّا لنَستَقبِح ذَلك مِنهَا غَايَة الاستِقبَاح، فنَسبنَ الاستِقبَاح إِليهِنَّ رَغم أنَّ مِن شَأن النِّسَاء أن يُساعِد بَعضُهنَّ بَعضًا علَىٰ الهَوىٰ، ولَا يَكدنَ يَرينَ ذَلك قَبيحًا، كما يُسَاعِد الرِّجَال بَعضُهُم بَعضًا.

١٠- أنَّهنَّ جَمعنَ في هذا الكلام واللَّوم بينَ العِشق المُفرِط والطَّلب المُفرِط، أمَّا العِشق المُفرِط فلأنَّ يُوسُف قد مَلك شِغَاف قَلبِها، وأمَّا الطَّلب المُفرِط فلأنَّها تُراوِدِه مرَّة بعدَ مرَّة طلبًا للفَاحِشَة»[1].



(١) التفسير القيم (١/ ٣٢٧-٣٢٨) بتصرف.

قال تعالى:

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [يوسف:٣١، ٣٢]

قَولُ النِّسوَة: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾، أي: أنَّه شَديدُ الجَمَال؛ لأنَّ المُتقرِّر في نُفُوس البَشَر أنَّ المَلائِكة خَلقُهُم اللهُ في أَحسِن الصُّوَر لذلك وَصفَ النِّسوَة يُوسُف بأنَّه مَلَك كَرِيم، كمَا أن المُتقرِّر في نفوسِ البَشَر أن الشَّيَاطِين هُم أَقبَح الخَلقِ صُورَة وظَاهرًا، لذَلِك وصفَ اللهُ تَعالَىٰ شَجرَة الزَّقُّوم بأن ثَمرَهَا كأنَّه رُؤُوسُ الشَّياطِين، رغمَ أنَّ البَشَر لَم يَرَوا الشَّياطِين، ولَم يَرَوا رَؤُوسِها، قالَ امرؤُ القَيسِ:

أَيَقْتُلُنِي وَالْمَشْرَفِيُّ مُضاجِعِي ... وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيابِ أَغْوَالِ

المَشرِفي هُو السَّيف، مُضَاجِعي أي: بجوَارِي، أَغوَال جَمع غُول، والغُول لَيس لَه وُجُود، ولكن في نفوس العَرب أنَّ الغُول شيءٌ مُخِيف وشكلُه قَبِيح فشبَّه امرؤُ القَيس رِمَاحَه المَسنُونَه بأنَها كأنيَابِ الأَغوَال.

فالنِّسوَة قد شَهدنَ ببرَاءَة ظَاهِر يُوسُف بحُسنِ صُورَتِه في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾، فتَقطِيعهنَّ

لأَيدِهنَّ وقَولُهُنَّ: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾ أي: تَنزِيها للهِ ما هذَا الرَّجل الذي مرَّ أمَامَنا بشرٌ، لأنَّه جَمِيل الصُّورَه ثمَّ أكَّدنَ جَمال صُورَته بقولهن: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ﴾ وشَهِدنَ ببراءَة بَاطِن يُوسُف بعفَّته وحُسن خُلقِه؛ لأنَّه لَم يَلتَفِت إِليهِنَّ بلْ غضَّ طَرفُه بقولِهنَّ: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ﴾.

فقَولُه تعالىٰ: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ﴾ فيه معنيَان:

الأوَّل: تأكِيد لمَا مرَّ ذِكرُه مِن تَقطِيع النِّسوَة لأَيدِهِنَّ، وقَولهِنَّ: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ أي: تَأكِيد لحُسنِ صُورة يُوسُف؛ لأنَّ المُتقرَّر في نفُوسِ البَشَر أنَّ المَلائِكَة حَسنَةُ الصُّورَة.

الثَّاني: إِثبَات حُسن خُلُق يُوسُف؛ لأنَّ المُتقرَّر في نفُوس البَشر أن المَلائِكَة حَسنَة الخُلُق، وهِي مَخلُوقَات تَفعَل الخَير.

وقَول امرأةِ العزيزِ: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَ﴾ أي: أنَّكُنَّ رَأيتُن حُسن صُورَته فقَطعتُنَّ أَيدِيكنَّ، فكَيف لَو عَلمتُنَّ حُسن أَخلاقِه وعِفَّته، فقَد رَوادتُه عَن نَفسِه فاستَعصَم، أي: فامتَنَع أشدَّ الامتِنَاع عَن قَولٍ فَاحشٍ أو فِعل فَاحشٍ، وشَهِدَت امرأةُ العَزيزِ ببرَاءَة بَاطِن يُوسُف، قال تعالىٰ: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِ﴾، ذَلك اسمُ إِشَارَة لِلبَعيدِ رَغم أن يُوسُف حَاضِر لتدلَّ علَىٰ عِفَّته وبُعدِه عَن كلِّ قَبيح، وذَلِك مِثل قَولِه تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ﴾ (ذَلِك) اسمُ إِشارَة لِلبعَيد ليدلَّ علَىٰ أنَّ القُرآن بَعيدٌ عَن كلِّ رَيب.

❁❁❁

قال تعالى:

﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف:٣٠]

(شَغفَهَا) مُشتَقَّه من الشِّغَاف، وهُو جِلدة رَقِيقَة مُحيطَة بِالقَلبِ، يُقَال لهَا: غُلَاف القَلبِ فكأنَّ حبَّ يُوسُف قَد أحاطَ بِقلبهَا كمَا يُحيط الشِّغَاف بالقَلبِ، وقِيل: الشَّغَاف حبَّة القَلب، وسُويدَاء القَلب، والمَعنَىٰ أن حبَّه وَصَل إلَىٰ سُويدَاءِ قَلبِها[1].

---

(١) لنذكر بعض الأشعار في الغزل وغلو العاشقين :

١- قال عروة بن حزام:

وَإني لَتَعــرُوني لِــذِكرَاكِ رِعْــدَةٌ ... لهـا بَـينَ جِلْـدِي وَالعِظـام دَبِيـبُ
فَمـا هُـوَ إلاّ أنْ أرَاهَـا فُجـاءةً ... فَأُبْهَـت حَتـىٰ مَـا أكَـادُ أُجِيـبُ
وأصرف عَن رَأْيِي الَّذِي كنت أرتئي ... وأنسىٰ الَّـذِي أعـدَدْت حِـين تغيب
ويضـمر قلبِـي عـذرها ويعينهـا ... عَلَيْـهِ فَمَـا لـي فِـي الْفُـؤَاد نصـيب
وَقـد علمـت نَفسِـي مَكَـان شـفائها ... قَرِيبـا وَهـل مَـا لَا ينَـال قريـب
لـئن كـان بـرد المـاء أبـيض صـافيا ... إلـىٰ حبيبـا، إنّهـا لحبيـب

٢- قال مجنون ليلىٰ (قيس بن الملوح):

وَلَـو تلتقـي أصـداؤنا بعـد موتنـا ... وَمن دون رمسينا من الأَرْض سبسب
لظل صـدىٰ صـوتي وَإِن كنـت رمـة ... لصـوت صـدىٰ ليلـىٰ يهـش ويطـرب

٣- قال توبة بن الحمير:

ولـو أنَّ ليلَـىٰ الأخيليَّـةَ سـلَّمتْ ... علـيَّ ودُوني جنـدلٌ وصـفائحُ
لسـلَّمتُ تسـليمَ البشاشـةِ أوزَقـا ... إليهـا صدًىٰ من جانبِ القبرِ صائحُ
ولـو أنَّ ليلَـىٰ في السَّـماءِ لأصـعدت ... بطـرْفي إلـىٰ ليلَـىٰ العيـونُ الكواشـحُ
ولـو أرسـلت وحيـا إلـي عرفتـه ... مـع الـريح في موارهـا المتنـاوح=

=وهل في غدٍ إنْ كانَ في اليوم علَّةٌ ... دواءٌ لما تلقَىٰ النُّفوسُ الشَّحائحُ
وهل تبكِنِي ليلَىٰ إذا متُّ قبلَها ... وقامَ علىٰ قبري النِّساءُ النوائحُ
كما لو أصابَ الموتُ ليلَىٰ بكيتُها ... وجادَ لها جارٍ من الدَّمعِ سافحُ

٤- قال مجنون ليلىٰ :

وإنّي لأستغشي وما بي نعسة ... لعلّ خيالا منك يلقىٰ خياليا
وأخرج من بين الجلوس لعلّني ... أحدّث عنك النّفس في السّرّ خاليا

٥- قال جميل بن معمر :

ألا لَيتَ شِعري هَلْ أبِيتَنَّ لَيلَةً ... بِوَادي القُرَىٰ إني إذاً لَسَعيدُ
وهل ألقين فردا بثينة مرة ... تجود لنا من ودّها ونجود
علقت الهوىٰ منها وليدا فلم يزل ... إلىٰ اليوم ينمىٰ حبّها ويزيد
وأفنيت عمرىٰ فىٰ انتظار نوالها ... وأبليت فيها الدهر وهو جديد
إذا قلتُ ما بي يا بُثَيْنَةُ قَاتِلي ... من الحُبِّ قالت: ثابتٌ ويَزيدُ
وَإن قلتُ رُدي بعض عقلي أعش به ... معَ النّاسِ قالت: ذاكَ منك بَعيدُ
فَلا أنا مَرْدُوْدٌ بما جِئتُ طالِبًا ... وَلا حُبُّهَا فِيما يَبِيدُ يَبِيدُ
يَموتُ الهَوَىٰ مني إذا ما لَقيتُها ... وَيَحيَا إذا فارَقتُها، فَيَعُودُ

٦ - قال جميل بن معمر :

أقلبُ طَرْفي في السماءِ لعلّه ... يوافقُ طرفي طرفَها حينَ تنظرُ

وقال :

يهواك ما عشت الفؤاد فإن أمت ... يتبع صداي صداك بين الأقبر

وقال :

ولو تركت عقلي معىٰ ما طلبتها ... ولكن طلابيها لما فات من عقلي
خليليّ فيما عشتما هل رأيتما ... قتيلا بكىٰ من حبّ قاتله قبلي
فلا تقتليني يا بثين فلم أصب ... من الأمر ما فيه يحلّ لكم قتلي

وقال :

لها في سواد القلب بالحب ميعة ... هي الموت أوكادت علىٰ الموت تشرف

=وما ذكرتك النّفس يا بثن مرّة ... من الدهر إلا كادت النفس تتلف
وإلا اعترتنى زفرة واستكانة ... وجاد لها سجل من الدمع يذرف
وما استطرفت نفسى حديثا لخلّة ... أسرّ به إلا حديثك أطرف

٧ - قال جرير :

لقد كتمت الهوى حتى تهيّمني ... لا أستطيع لهذا الحب كتمانا
إنَّ العيونَ التي في طَرفها حَوَرٌ ... قَتلْننا ثمَّ لم يُحيينَ قتلانَا
يَصرعن ذا اللبَّ حتى لا حراكَ به ... وهنَّ أضعفُ خلقِ الله أركانا
أتبعتهم مقلة إنسانها غرق ... هل ما ترى تارك للعين إنسانا

قال قيس بن ذريح :

وإن تك لبنى قد أتى دون قربها ... حجاب منيع ما إليه سبيل
فإن نسيم الجوّ يجمع بيننا ... ونبصر قرن الشمس حين تزول
وأرواحنا بالليل في الحيّ تلتقي ... ونعلم أنا بالنهار نقيل
وتجمعنا الأرض القرار وفوقنا ... سماء نرى فيها النجوم تجول

وقال :

وإنى لأهوى النوم فى غير حينه ... لعل لقاء فى المنام يكون
تحدّثني الأحلام أنى أراكم ... فياليت أحلام المنام يقين
شهدت بأني لم أحل عن مودة ... وإني بكم لو تعلمين ضنين
وإن فؤادي لا يلين إلى هوى ... سواك وإن قالوا بلى سيلين

وقال :

تعلّق روحى روحها قبل خلقنا ... ومن بعد ما كنا نطافا وفي المهد
فزاد كما زدنا فأصبح ناميا ... وليس إذا متنا بمنصرم العهد
ولكنه باق على كل حادث ... وزائرنا في ظلمة القبر واللّحد

قال ابن القيم في الداء والدواء (٢١٢- ٢١٥): «دواء العشق:

ودواء هذا الداء القتَّال: أن يعرف أن ما ابتلي به من هذا الداء المضاد للتوحيد، إنما هو من جهله وغفلة قلبه عن الله تعالى، فعليه أن يعرف=

=توحيد ربه وسنته أولا، ثم يأتي من العبادات الظاهرة والباطنة بما يشغل قلبه عن دوام الفكرة فيه، ويكثر اللجأ والتضرع إلىٰ الله سبحانه في صرف ذلك عنه، وأن يراجع بقلبه إليه، وليس له دواء أنفع من الإخلاص لله، وهو الدواء الذي ذكره الله في كتابه حيث قال: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [سورة يوسف: ٢٤] .

وأخبر سبحانه أنه صرف عنه السوء من العشق والفحشاء من الفعل بإخلاصه، فإن القلب إذا أخلص وأخلص عمله لله لم يتمكن منه عشق الصور فإنه إنما يتمكن من قلب فارغ، كما قال:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوىٰ فصادف قلبا خاليا فتمكنا

وليعلم العاقل أن العقل والشرع يوجبان تحصيل المصالح وتكميلها، وإعدام المفاسد وتقليلها، فإذا عرض للعاقل أمر يرىٰ فيه مصلحة ومفسدة، وجب عليه أمران: أمر علمي، وأمر عملي، فالعلمي: معرفة الراجح من طرفي المصلحة والمفسدة، فإذا تبين له الرجحان وجب عليه إيثار الأصلح له.

أضرار العشق:

ومن المعلوم أنه ليس في عشق الصور مصلحة دينية ولا دنيوية، بل مفسدته الدينية والدنيوية أضعاف أضعاف ما يقدر فيه من المصلحة، وذلك من وجوه:

أحدها: الاشتغال بحب المخلوق وذكره عن حب الرب تعالىٰ وذكره، فلا يجتمع في القلب هذا وهذا إلا ويقهر أحدهما الآخر، ويكون السلطان والغلبة له.

الثاني: عذاب قلبه به، فإن من أحب شيئا غير الله عذب به ولا بد، كما قيل:

فما في الأرض أشقىٰ من محب وإن وجد الهوىٰ حلو المذاق
تراه باكيا في كل حين مخافة فرقة أو لاشتياق
فيبكي إن نأوا شوقا إليهم ويبكي إن دنوا خوف الفراق
فتسخن عينه عند الفراق وتسخن عينه عند التلاقي

والعشق وإن استلذ به صاحبه، فهو أعظم من عذاب القلب.

الثالث: أن قلبه أسير قبضة غيره يسومه الهوان، ولكن لسكرته لا يشعر بمصابه، فقلبه كعصفورة في كف طفل يسومها حياض الردىٰ، والطفل يلهو=

=ويلعب، كما قال بعض هؤلاء:

ملكت فؤادي بالقطيعة والجفا وأنت خلي البال تلهو وتلعب

فعيش العاشق عيش الأسير الموثق، وعيش الخلي عيش المسيب المطلق.

طليق برأي العين وهو أسير عليل علىٰ قطب الهلاك يدور

وميت يرىٰ في صورة الحي غاديا وليس له حتىٰ النشور نشور

أخو غمرات ضاع فيهن قلبه فليس له حتىٰ الممات حضور

الرابع: أنه يشتغل به عن مصالح دينه ودنياه، فليس شيء أضيع لمصالح الدين والدنيا من عشق الصور، أما مصالح الدين فإنها منوطة بلم شعث القلب وإقباله علىٰ الله، وعشق الصور أعظم شيء تشعيثا وتشتيتا له.

وأما مصالح الدنيا فهي تابعة في الحقيقة لمصالح الدين، فمن انفرطت عليه مصالح دينه وضاعت عليه، فمصالح دنياه أضيع وأضيع.

الخامس: أن آفات الدنيا والآخرة أسرع إلىٰ عشاق الصور من النار في يابس الحطب، وسبب ذلك: أن القلب كلما قرب من العشق وقوي اتصاله به بعد من الله، فأبعد القلوب من الله قلوب عشاق الصور، وإذا بعد القلب من الله طرقته الآفات، وتولاه الشيطان من كل ناحية، واستولىٰ عليه لم يدع أذىٰ يمكنه إيصاله إليه إلا أوصله، فما الظن بقلب تمكن منه عدوه وأحرص الخلق علىٰ غيه وفساده، وبعد منه وليه، ومن لا سعادة له ولا فرح ولا سرور إلا بقربه وولايته؟

السادس: أنه إذا تمكن من القلب واستحكم وقوي سلطانه، أفسد الذهن، وأحدث الوسواس، وربما ألحق صاحبه بالمجانين الذين فسدت عقولهم فلا ينتفعون بها.

وأخبار العشاق في ذلك موجودة في مواضعها، بل بعضها مشاهد بالعيان، وأشرف ما في الإنسان عقله، وبه يتميز عن سائر الحيوانات، فإذا عدم عقله التحق بالحيوان البهيم، بل ربما كان حال الحيوان أصلح من حاله، وهل أذهب عقل مجنون ليلىٰ وأضرابه إلا ذلك؟ وربما زاد جنونه علىٰ جنون غيره كما قيل:

قالوا جننت بمن تهوىٰ فقلت لهم العشق أعظم مما بالمجانين=

=العشق لا يستفيق الدهر صاحبه وإنما يصرع المجنون في الحين

السابع: أنه ربما أفسد الحواس أو بعضها، إما إفسادا معنويا أو صوريا، أما الفساد المعنوي فهو تابع لفساد القلب، فإن القلب إذا فسد فسدت العين والأذن واللسان، فيرىٰ القبيح حسنا منه ومن معشوقه كما في المسند مرفوعا: «حبك الشيء يعمي ويصم» فهو يعمي عين القلب عن رؤية مساوئ المحبوب وعيوبه، فلا ترىٰ العين ذلك، ويصم أذنه عن الإصغاء إلىٰ العدل فيه، فلا تسمع الأذن ذلك، والرغبات تستر العيوب، فالراغب في الشيء لا يرىٰ عيوبه، حتىٰ إذ زالت رغبته فيه أبصر عيوبه، فشدة الرغبة غشاوة علىٰ العين، تمنع من رؤية الشيء علىٰ ما هو به، كما قيل:

هويتك إذ عيني عليها غشاوة فلما انجلت قطعت نفسي ألومها

والداخل في الشيء لا يرىٰ عيوبه، والخارج منه الذي لم يدخل فيه لا يرىٰ عيوبه، ولا يرىٰ عيوبه إلا من دخل فيه، ثم خرج منه، ولهذا كان الصحابة الذين دخلوا في الإسلام بعد الكفر خيرا من الذين ولدوا في الإسلام.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه إنما تنتقض عرىٰ الإسلام عروة عروة، إذا ولد في الإسلام من لا يعرف الجاهلية.

وأما فساد الحواس ظاهرا، فإنه يمرض البدن وينهكه، وربما أدىٰ إلىٰ تلفه، كما هو المعروف في أخبار من قتلهم العشق. وقد رفع إلىٰ ابن عباس وهو بعرفة شاب قد انتحل حتىٰ عاد جلدا علىٰ عظم، فقال: ما شأن هذا؟ قالوا: به العشق، فجعل ابن عباس يستعيذ بالله من العشق عامة يومه.

الثامن: أن العشق كما تقدم هو الإفراط في المحبة، بحيث يستولي المعشوق علىٰ قلب العاشق، حتىٰ لا يخلو من تخيله وذكره والفكر فيه، بحيث لا يغيب عن خاطره وذهنه، فعند ذلك تشتغل النفس عن استخدام القوة الحيوانية والنفسانية فتتعطل تلك القوة، فيحدث بتعطيلها من الآفات علىٰ البدن والروح ما يعز دواؤه ويتعذر، فتتغير أفعاله وصفاته ومقاصده، ويختل جميع ذلك، فتعجز البشر عن صلاحه، كما قيل:

الحب أول ما يكون لجاجة يأتي بها وتسوقه الأقدار

حتىٰ إذا خاض الفتىٰ لجج الهوىٰ جاءت أمور لا تطاق كبار=

قال مجنون ليلىٰ:

أَمُــرُّ عَلَــىٰ الــدِّيَارِ دِيَــارِ لَيْلَــىٰ	**أُقَبِّــلَ ذَا الْجِــدَارَ وَذَا الْجِــدَارَا**
وَمـا حُـبُّ الـدِّيارِ شَـغَفنَ قَلبـي	**وَلَكِـن حُـبُّ مَـن سَـكَنَ الـدِّيارا**

=والعشق مباديه سهلة حلوة، وأوسطه هم وشغل قلب وسقم، وآخره عطب وقتل، إن لم تتداركه عناية من الله تعالىٰ، كما قيل:

وعــش خاليــا فالحــب أولــه عنــا	وأوســـطه ســـقم وآخـــره قتـــل

وقال آخر:

تولـــع بالعشـــق حتـــىٰ عشـــق	فلمـــا اســـتقل بـــه لـــم يطـــق
رأىٰ لجـــــة ظنهـــــا موجـــــة	فلمـــا تمكـــن منهـــا غـــرق

والذنب له، فهو الجاني علىٰ نفسه، وقد قعد تحت المثل السائر: «يداك أوكتا، وفوك نفخ» انتهىٰ.

قلت (محمود): ومن دواء العشق ذكر ما أعد الله لعباده المؤمنين في الجنه من التمتع بالحور العين وقد قال رسول الله ﷺ: «لَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَىٰ الأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا - يَعْنِي الخِمَارَ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» (البخاري ٦٥٦٨)، وقال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالىٰ: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر، واقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾» (البخاري ٣٢٤٤)، وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَىٰ أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لاَ يَبُولُونَ وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، وَلاَ يَتْفِلُونَ وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمْ الأَلُوَّةُ الأَنْجُوجُ، عُودُ الطِّيبِ وَأَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِينُ، عَلَىٰ خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَىٰ صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ، سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ» (البخاري ٣٣٢٧) وتذكر الموت والقبر ونعيمه وعذابه مما يعين علىٰ مداوة ذلك الداء (العشق) وأن من ترك شيئا لله عوضه الله خير منه.

قال النابغة الجعدي:

بَـدَتْ فِعْـلَ ذِي وُدٍّ فَلَمَّـا تَبِعْتُهـا تولَّتْ وَأَبْقَتْ حاجَتِي فِي فُؤادِيـا

وَحَلَّتْ سَوادَ الْقَلْبِ لا أَنا باغِيًا سِـواها وَلا عَـنْ حُبِّهـا مُتَراخِيـا

قال النابغة الذبياني:

وَقَـد حالَ هَـمٌّ دُونَ ذَلِـكَ شـاغِلٌ مَكـانَ الشِّغـافِ تَبْـتَـغِيهِ الأَصـابِعُ

قال أبو عبيدة:

يَعلَـــمُ اللَـــهُ أَنَّ حُبَّـــكِ مِنّـــي في سَـوادِ الفُـؤادِ وَسـطَ الشِـغافِ

قال قيس بن الخطيم:

إِنِّــي لَأَهْــوَاكِ غَيــرَ ذِي كَــذِبٍ قَدْ شُفَّ مِنِّي الْأَحْشَـاءُ وَالشَّـغَفُ

قال الأعشىٰ:

تَعْصِي الْوُشَاةَ وَكَانَ الْحُـبُّ آوِنَـةً مِمَّـا يُـزَيِّنُ لِلْمَشْـغُوفِ مَـا صَـنَعَا

قال ابن حزم الأندلسي:

ودَدتُ بَـأَنَّ القلـب شُـقَّ بِمُديَـةٍ وأُدخِلْتِ فِيـهِ ثُـمَّ أُطبِـقَ فِي صَـدرِي

تَعِيشِينَ فِيهِ مَا حَيِيتُ فَـإِنْ أَمُـتْ سَكَنْتِ شِغَافِ القَلْبِ في ظُلَم القَبْرِ

مُديَة: أي: سِكِّين.

۞۞۞

في قراءة الحسن البصري وهي قراءة شاذة

قال تعالى: ﴿قَدْ شَعَفَهَا حُبًّا﴾

١- الشَّعف: إحرَاق الحبِّ القلبَ مع لذَّة يجدُها، وقيل: الشَّعف رُؤُوس الجِبَال فكَأنَّ مَعنىٰ شَعفهَا حُبًّا، أي: ارتَفع حبُّه إلَىٰ أَعلَىٰ المَواضِع مِن قَلبهَا، قال رسول الله ﷺ: «يُوشِكُ أَن يكُونَ خَيرُ مَالٍ المُسلِمِ غُنمًا يَتبَع بِها شَعفَ الجِبَالِ، ومَواقِع القَطرِ يَفرُّ بِدِينِه مِنَ الفِتَن»، فالشَّعف رُؤُوس الجِبَال وأَعَالِيهَا، قال الشاعر:

وكَعبًا قَد حَمَينَاهُمْ فَحَلُّوا مَحِلَّ العَصْمِ في شَعَفِ الجِبَالِ

٢- الشَّعف: إحرَاق الحبِّ القلبَ مع لذَّة يَجدها مثل النَّاقةِ إذا هنئتها بالقَطرَان، فإنَّها تشعر بالألَم ثم تستريحُ وتَشعُر بلَذَّة.

قال امرؤ القيس:

أَيَقْتُلُنِي وَقَدْ شَعَفْتُ فُؤادَها

كَما شَعَفَ الْمَهْنُوءَةَ الرَّجُلُ الطَّالِي

٣- الشَّعف: أن يَذهَب الحبُّ بقلبهِ، كما قال أبو ذُؤَيب الهُذَلي:

شَعَفَ الْكِلابُ الضَّارِياتُ فُؤَادَهُ فَإِذَا يَرَىٰ الصُّبْحَ الْمُصَدَّقَ يَفْزَعُ

فإِنه استَعمَل الشَّعف في الفَزَع، يقُول: إنَّ الثَّورَ ذَهبَت بقَلبهِ الكِلابُ، فإذَا نَظرَ إلىٰ الصُّبحِ ترقَّب الكِلَاب أن تَأتِيَه.

قال العبَّاس بن الأَحنَف لمحبوبته:

أَتَـــأذَنونَ لِصَـــبٍّ في زِيـــارَتِكُم

فَعِنـدَكُم شَـهَواتُ السَـمعِ وَالبَصَـرِ

لا يُضمِرُ السوءَ إِن طـالَ الجُلـوسُ

عَـفٌّ الضَـميرِ وَلَكِـن فاسِـقُ النَظَـرِ

يُخَاطِب مَحبوبَتَه بضـمِير المُخاطَب مُضـاف إلَيـه مِيم الجَمـع (عِندَكُم)، ويخَاطبها بوَاو الجَماعَة (أتأذنون) تَعظِيما لهَا.

صـبٌّ: صـفَة مشـبهه مُشـتقَّه مـن الصـبَابة ، وهـي كَثـرَة الشَّـوق والحبِّ، فقيل: صَبابَة.

قـال ابـن منظـور في لسـان العـرب (١ / ٥١٨) : «والصَّـبابة: الشَّوْقُ؛ وَقِيلَ: رِقَّتُهُ وَحَرَارَتُهُ. وَقِيلَ: رِقَّةُ الْهَوَىٰ. صَبِبْتُ إِليه صَبَابة، فأَنا صَبٌّ أَي عَاشِقٌ مُشْتَاقٌ، والأُنثىٰ صَبَّة»

فالشَّاعِر يَطلب من مَحبُوبَته أَن يَجلِس مَعهَا يُكلِّمها؛ لأنها في غايـة الجمَـال وصَـوتُها عَـذب رِقِيـق ورُغـم جُلُوسـه مـع مَحبوبتِه لا يُضـمر سوءًا، أي: لا تُحدِّثُه نَفسُه بقَول فَاحِش أو فعل فَاحش رغم كَثرَة حبِّه لها، فإذا كان هذَا الشَّاعر الـذي يُحـبُّ مَحبُوبَتَه لا تحدِّثه نفسُـه بشـيء فَاحِش، فكَيف تُحدِّث نَفس يُوسُف بشيء فَاحِشٍ، ويُوسُف لَـم يُحـب امرَأة العزيز.

قال إبرَاهِيم بن مُحمَّد بن عَرفَه (نفطويه):

كَمْ قَد ظَفَرتُ بمَن أَهوَىٰ فَيمنَعُني مِنْهُ الحَيَاءُ وخَـوفُ اللهِ والحَـذَرُ

وَكَمْ خَلَوْتُ بمَنْ أَهوَىٰ فَيُقْنِعُنِي ... مِنْهُ الفُكَاهَةُ والتَّحدِيثُ والنَّظَرُ

أَهْـوَىٰ المِـلَاحُ وأَهْـوَىٰ أَنْ ... وَلَيْسَ لِي فِي حَرَامٍ مِنْهُمُ وَطَرُ

كَذَلِكَ الحُبُّ لَا إتْيَانَ مَعْصِيَةٍ ... لَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِنَ بَعْدِهَا سَقَرُ

وقال الشاعر:

مَا إِنْ دَعَانِي الهَوَىٰ لِفَاحِشَةٍ ... إِلَّا نَهَانِي الحَيَاءُ وَالكَرَمُ

فَلَا إِلَىٰ فَاحِشٍ مَدَدْتُ يَدِي ... وَلَا مَشَتْ بِي لِرِيبَةٍ قَدَمُ

وقال الشاعر:

تَفْنَىٰ اللَّذَاذَةُ مِمَّنْ نَالَ صَفْوَتَهَا ... مِنَ الحَرَامِ وَيَبْقَىٰ الوِزْرُ وَالعَارُ

تَبْقَىٰ عَوَاقِبُ سُوءٍ فِي مَغَبَّتِهَا ... لَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا النَّارُ

قال عنترة بن شداد:

أَغْشَىٰ فَتاةَ الْحَيِّ عِنْدَ حَلِيلِها ... وَإِذا غَزا فِي الْجَيْشِ لا أَغْشاها[(١)]

---

(١) قال شوقي ضيف في تاريخ الأدب العربي (١) العصر الجاهلي (٣٧٣ - ٣٧٤): وبهذه الرقة والرحمة كان يعامل النساء -أي عنترة بن شداد- سبيات وغير سبيات؛ فإذا سبىٰ امرأة لم يقربها إلا بعد أداء صداقها إلىٰ أهلها. وكما للسبية حرمتها كذلك لامرأة جاره، وخاصة إذا كانت زوجة صديق، فإنه يغض طرفه عنها ولا يتبعها قلبه وهواه، يقول:

ما استمت أنثىٰ نفسها في موطن ... حتىٰ أوفي مهرها مولاها

أغشىٰ فتاة الحي عند حليلها ... وإذا غزا في الجيش لا أغشاها

وأغض طرفي ما بدت لي جارتي ... حتىٰ يواري جارتي مأواها

إني امرؤ سمح الخليقة ماجد ... لا أتبع النفس اللجوج هواها

وعنترة بهذا كله يصور لنا المروءة الجاهلية الكاملة، وهي مروءة طرزها حب =

وَأَغَضُّ طَرْفِي ما بَدَتْ لِيَ جارَتِي   حَتَّىٰ يُـوارِيَ جـارَتِي مَأْوَاهـا
إِنِّـي امْـرُؤٌ سَـمْحُ الْخَلِيقَـةِ ماجِـدٌ   لا أُتْبِـعُ الـنَّفْسَ اللَّجُـوجَ هَوَاهـا

=عذري عفيف لابنة عمه عبلة. وحقا إن هذا الحب إنما شاع في بوادي نجد في أثناء العصر الأموي، بسبب المعاني الروحية التي بثها الإسلام في نفوس العرب وهو لم يشع في الجاهلية؛ إنما ظهر عند بعض الأفراد من الفرسان مثل عنترة؛ فقد كان يتسامىٰ لا في خلقه فحسب؛ بل أيضا في حبه، وقد جعله ذلك يستشعر غير قليل من الأسىٰ والحزن حين رفض عمه يده، فلم يزوجه من ابنته. ومضىٰ يحبها حبا عفيفا، أو قل حبا يائسا محروما فيه طهارة النفس ونقاؤها وفيه الفؤاد الملذلع الذي يكظم حزنه فتفضحه عبراته، يقول:

أفمــن بكــاء حمامــة في أيكــة   ذرفت دموعك فوق ظهر المحمل

فالحمام يهيجه كما يهيجه النسيم الذي يهب من صوبها، وكما تهيجه الرسوم والأطلال؛ إذ يعبث الحنين بعقله وبقلبه، يقول في معلقته:

حييــت مــن طلــل تقــادم عهــده   أقــوىٰ وأقفــر بعــد أم الهيــثم
ولقــد نزلــت فــلا تظنــي غيــره   منــي بمنزلــة المحــب المكــرم

ودائما نراه يعبر عن ظمأ شديد إلىٰ رؤيتها، لا لغاية حسية؛ ولكن ليمتع طرفه بجمالها، ومن أهم ما يلاحظ عنده أنه يقدم لها في معلقته وغير معلقته مغامراته الحربية؛ فمن أجلها يحارب ويستبسل في القتال، ومن أجلها يذود عن قومه ويحمي حماهم، ومن أجلها يسوق كل مناقبه ومحامده، وكان حين يشتد القتال يلمع خيالها أمام عينيه فيندفع كالثور الهائج، يقول:

ولقــد ذكرتــك والرمــاح نواهــل   منــي وبـيض الهنـد تقطـر مـن دمـي
فــوددت تقبيــل الســيوف لأنهــا   لمعــت كبــارق ثغــرك المتبســم

فهو دائم الذكر لها في وغىٰ الحرب؛ حتىٰ حين تعبث به سيوف أعدائه ورماحهم. إنه من أجلها يحارب ويخاطر ويغامر؛ فلا غرو أن يذكرها في ساعات القتال الحرجة، فإذا هو يتحول إلىٰ أسد ضار لا يعبس، بل يبتسم؛ لأنها تتراءىٰ له من خلال بريق السيوف، فيؤمن بأنه منتصر.

الحَلِيل: الزَّوج. فعَنتَرة لا يَزور جِيرَانه إلَّا إذا كان الرِّجال في البُيوتِ، فإذا ذهبَ الرِّجالُ إلىٰ الحَربِ لا يَذهَب إلَىٰ بيتِ أحدٍ لوُجُود النِّسَاءِ وَحدَهنَّ في البُيُوتِ.

وانظُر إلىٰ عفَّتهِ فهُو يغضُّ بَصرَه إذَا ظَهرَت أمَامَه امرَأة من جِيرَانِه أو أَزوَاج أَصدقَائِه إلىٰ أن تَدخُل بيتَها، ثمَّ يفخَر بنَفسِه - وحُقَّ له ذَلِك - بأنَّه سَمحُ الطَّبيعةِ والأَخلاق وذُو شرفٍ، لا يتَّبع نَفسه هَواهَا بل يَدفعُها عن الهَوىٰ، فإذَا كانَ عَنتَره وهُو كَافِر يَعبُد الأَصنَام عَفيفُ النَّفسِ، فكيفَ تُحدِّث يُوسُف نَفسُه بشيء فَاحِش؟!

وقال عنترة:

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالرِّمَاحُ نَوَاهِلُ	**وَبِيضُ الهِنْدِ تَقْطُرُ مِنْ دَمِي**
فَوَدَدْتُ تَقْبِيلَ السُّيُوفِ لأَنَّهَا	**لَمَعَتْ كَبَارِقِ ثَغْرِكِ المُتبَسِّمِ**

فعَنترَة وهُو في أرض المَعركَة يُقاتل الأعدَاءَ ذكَّرته السُّيوفُ التي تَلمَع لانعِكاسِ ضوءِ الشَّمس عَليهَا بِابتِسَامَة مَحبُوبَته عَبلَة، فعَنتَرة ارتقَىٰ منَ الحُبِّ الجَسدِي الشَّهواني إلىٰ الحبِّ الرُّوحِي الذِي تَبقَىٰ صُورَة المَحبُوبَة في ذِهنِ المُحبِّ، رُغمَ ذَلك لَم يَرِد أن عنترةُ قَال لعَبلَة

=وعلىٰ هذا النحو تكاملت الفروسية عند عنترة؛ فلم تصبح فروسية حربية فحسب، بل أصبحت فروسية خلقية سامية، فيها الحب الطاهر العفيف الذي يجعل من المحبوبة مثلا أعلىٰ، والذي يرتفع صاحبه عن الغايات الجسدية الحسية إلىٰ غايات روحية تنم عن صفاء النفس ونقاء القلب، وفيها التسامي عن الدنايا والنقائص الذي يملأ النفوس بالأنفة والإباء والعزة والكرامة والحس المرهف والشعور الدقيق.

قُولًا فَاحشًا أَو فَعلَ مَعها مُقدِّمَات الفَاحشَة مِن قُبلَة أو نَظرَة قَبِيحَة، فكَيف تُحدِّث يُوسُف نَفسُه بقولٍ أو فِعلٍ فَاحشٍ؟!



قال تعالى:

﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [يوسف:٣١]

«قرأ أبُو عَمرو والأَصمَعي عَن نَافع ﴿حَاشَا﴾ بـأَلِف في الوَصـلِ في المَوضِعَين، وقرأ البَاقُون بحَذفِ الأَلِف ﴿حَٰشَ﴾، اتَّفق القُرَّاء علىٰ حَذف الأَلِف في الوَقفِ فتُقرَأ ﴿حَٰشَ﴾ وهذه الكلمةَ لهَا معَانٍ:

الأوَّل: الاستِثناء، تقُول: أَساءَ القَوم حاشَا زَيدٍ، أي: باستِثنَاء زَيـدٍ، وهي حَرفُ جرٍّ مِثل خَلَا وعَدَا، فهي حرَف استِثنَاء قال الشاعر:

حَاشَا أَبِي ثَوبَان إِنَّ بِهِ ... ضَنًا عَنِ المَلْحَاةِ وَالشَّتْمِ

الثاني: التَّبرئَة والتَّنزِيه، فهي وَاقعَة مَوقع المَصدَر مُضافَة لما بعدَها، مثل سُبحَان الله، فمَعنىٰ حَاشَا للهِ: تَنزِيهًا للهِ. وقَد قرأ ابنُ مَسعُود ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾ مِثل سُبحَان اللهِ ومعاذَ اللهِ، فهِي اسم مُرادِف لكلمَة تنزِيه وتَبرئَه، وقرأ أبُو السَّمَّال بالتَّنوِين: (حاشًا للهِ) والإضافَة والتَّنوِين من خَواص الأسمَاءِ، فتُعرَب مَفعُول مُطلَق لِفعل مَحذُوف تَقدِيرُه مِن مَعنَاه ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾ انزِّه اللهَ تنزِيهًا، مثل: سُبحَان الله، أي: أُسبِّح الله سُبحانًا، فمَعنىٰ: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ أي: تَنزِيه الله تعالىٰ والتَّعجُّب من قُدرَتِه علىٰ خَلقِ جَمِيل مثل يُوسُف، ومعنىٰ: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾ أي: تَنَزيه الله تعالىٰ والتَّعجُّب من قُدرَتِه علىٰ خَلق عَفيفٍ مثل يُوسُف.

الثالث: أَن تَكُون فعلًا مَتعدِّيًا مُتصرِّفًا، تقول حَاشَيتُه، أي:

استَثنِيتُه.

قال الشاعر:

وَلا أَرَىٰ فـاعِلاً في النّـاسِ يُشْـبِهُهُ وَلا أُحاشِي مِنَ الْأَقْوامِ مِـنْ أَحَـدِ

الرابع: حَاشَا للهِ، أي: بَرِئَ اللهُ، واللَّام زَائِدَة في الفَاعِل فـ﴿حَشَ﴾ اسمُ فِعل مَاضٍ بمَعنَىٰ تَنَزَّه أَو بَرِئَ، واللَّام بعدَهَا زَائِدَة، و(الله) مَجرُور باللَّام الزَّائِدَة في مَحلِّ رَفع فَاعِل مَرفُوع باسِم الفِعل.

حَاشَا لله، أو حاشَ لله، أي: تَنزيها لله، ولا يُقاس عليه: حَاشَا لَك وحَاشَا لِزَيد، وإِنَّمَا يُقَال: حَاشَاكَ وحَاشَاهُ»[1].



(١) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٤٣٦)، تفسير الماوردي (٣ / ٣٣)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين (١/ ٢٢٦)، الجني الداني في حروف المعاني (١/ ٥٥٨)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (١/ ١٦٤)، شرح ابن عقيل علىٰ الفية ابن مالك (٢/ ٢٣٨، ٢٣٩)، شرح الأشموني علىٰ الفية ابن مالك (١/ ٥٢٨)، تفسير الرازي (١٨/ ٤٤٩).

قال تعالى:

﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَ﴾ [يوسف:٣٢]

«استَعصَم علىٰ وزن (استَفعَل)، ووَزن (استَفعَل) يَرد في اللُّغة العربية علىٰ مَعانٍ:

الأوَّل: التَّحوُّل والصَّيرُورة، يُقال: استَحجَر الطِّين، واستَنوَق الجَمَل، أي: صارَ الطِّينُ حَجَرًا، وصَارَ الجَمَل ضَعِيفًا كَالنَّاقَة، أي: صَارَ الجَمَل كَالنَّاقَة في ذلِّها ولِينِها، ويُقَال: استَنسَر البُغَاث، أي: صار طائرُ البُغَاث الضَّعِيف قَوي كَالنِّسْر.

الثَّاني: الطَّلب والسُّؤَال، يُقَال: استَغفَر اللهَ، أي: طَلَب مِن ربِّه المَغفِرَة، استَعَان أي: طَلَب وسَأَل العَونَ، استَطعَم أي: طَلَب وَسَأَل الطَّعَام.

الثَّالث: لمُطاوَعَة الفِعل، مِثل أحكَمتُه فَاستَحكَم، وأَقمتُهُ فَاستَقَامَ.

الرابع: فِعل مِثل قرَّ واستَقَرَّ.

الخَامَس: الوجُود، مثل: استَعظمتُه أي: وَجدتُه عَظِيمًا.

السَّادِس: الاتِّخَاذ، مِثل: استَعبَد عَبدًا، أي: اتَّخَذ عَبدًا، استَأجَرَ أَجِير أي: اتَّخَذَ أَجِيرًا»[1].

---

(١) المفصل في صنعة الاعراب (٣٧٤)، الممتنع الكبير في التصريف (١٣٢)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (٣/ ٣٠٦، ٣٠٧).

السَّابع: لِلمُبالَغة وتَأكِيدِ الفِعل، مثل: استَعصَم أي: بَالَغ في الاعتِصَام، واستَيأَس أي: بَالَغ في اليَّأس، في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ أي: بَلَغ الغَايَة في الاعتِصَام عن كلِّ قولٍ وفعل سُوء.

قَال الزَّمخشَرِي في تفسيره (٢ / ٤٩٤): «اسْتَيْأَسُوا يَئِسُوا، وزِيادَة السِّين والتَّاء في المُبالَغة، نَحو ما مر فِي استَعصَم».

وزيَادَة المَبنَىٰ تدلُّ علىٰ زيَادَة المَعنَىٰ، قال الثَّعالبي في تَفسِيره (١ / ١٠٦): «قُرِئَ بالتَّخفِيف والتَّشدِيد في حرف الطَّاء مِن كَلمَة (يَطهُرن)، ولَا رَيب أنَّ صِيغَة التَّشدِيد تُفِيد وُجُوب المُبالَغَة في طُهرِ النِّسَاء منَ الحَيضِ؛ لأنَّ **زيَادَة المَبنَىٰ تدلُّ علَىٰ زَيادَة المَعنَىٰ**».

قال الفخر الرازي في تفسيره (١٨ / ٤٩٢) : «اعْلَمْ أَنَّهُمْ لَمَّا قَالُوا: ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ﴾ [يُوسُف: ٧٨] وَهُوَ نِهَايَةُ مَا يُمْكِنُهُمْ بَذْلُهُ فَقَالَ يُوسُفُ فِي جَوَابِهِ: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ [يوسف: ٧٩] فَانْقَطَعَ طَمَعُهُمْ مِنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي رَدِّهِ، فَعِنْدَ هَذَا قَالَ تَعَالَىٰ: فَلَمَّا **اسْتَيْأَسُوا** مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا وَهُوَ **مُبَالَغَةٌ فِي يَأْسِهِمْ** من رده».

وفي حاشية الصبان علىٰ شرح الأشموني (٣ / ٣١٤) : «أشد من الخفيفة – نون التوكيد الثقيله – أي: من التوكيد بالخفيفة ويؤيده أن زيادة البناء تدل علىٰ زيادة المعنىٰ».

قال ابنُ عاشور في التَّحرِير والتَّنوِير (٢٦ / ١٩٢): «أَفعَال

المُطاوَعَه كَثِيرًا مَا تُطلَق لإرادَة المُبالَغة **لدَلالَة زيَادَة المَبنَىٰ علىٰ زِيادَة المَعنَىٰ، وذلِك أَصل مِن أُصُول اللُّغَة)**.

وقال (٢٨/ ٥٤): «الاستِحوَاذ: الاستِيلاء والغَلب... فاشتقُّوا مِنه (استَفعَل) للَّذي يَستَولي بتَدبِير ومُعالَجَة... ومِثلُه **استَولَىٰ والسِّين والتَّاء لِلمُبالَغَة في الغَلب**».

وقال (١٦/ ٣٨): «استِطَاعة نَقب السَّدِّ أقوىٰ من استِطاعَة تَسلُّقِه فهَذا مِن مَواضِع **دَلَالَة زِيادَة المَبنَىٰ علىٰ زِيادَة المَعنَىٰ**».

قال (١٩/ ١٢٣): «فـ(مُبِين) دَال علَىٰ شدَّة الظُّهور مِن أَجل أن **زِيادَة المَبنَىٰ، تَدلُّ علَىٰ زِيادَة المَعنَىٰ**».

قال الأَلُوسِي في تفسيره (١٥/ ١٧١): «يَخافُون يومًا كانَ شرُّه عَذابُه مُستَطيرًا فَاشيًا مُنتَشِرًا في الأَقطَار غَايَة الانتِشَار، مِن استَطَار الحَريق والفَجر، وهُو أَبلَغ مِن طَار لأنَّ **زِيادَة المَبنَىٰ تَدلُّ علىٰ زِيادَة المَعنَىٰ**».

- والرَّاجِح أنَّ استَعصَم لِلمُبالَغَة وتَأكِيد اعتِصَام يُوسُف.

۞۞۞

قال تعالى:

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ [يوسف:٣٠]

«الفِعل (قَالَ) مُفرَد، وكلمَة (نِسوَة) الفاعل جَمع ولَيس في هذا إشكَال.

فِالفِعل إن سَبق الفَاعل يَجب أن يكون الفِعل مُفردًا، سواءً كان الفاعِل مُفرَدًا أو مثنًىٰ أو جمعًا فتقُول: (قَامَ الرَّجُلُ)، وتقول: (قَامَ الرَّجُلَانِ)، وتَقُول: (قَامَ الرِّجَالُ)، إلَّا إذا كان الفَاعِل مُؤنَّث فيُلحقُون بالفِعل تَاء التَّأنيث، نحو: (قَامِتِ المُسْلِمَةُ) و(قَامِتِ المُسْلِمَتَانِ)، و(قَامَتِ المُسْلِمَاتُ).

أمَّا إذا تقدَّم الاسم علىٰ الفِعل وكانَ الاسم فاعِل مِن حيثُ المَعنىٰ مُبتَدأ من حيثُ الصَّنعَه الإعرَابية النَّحوية، وكانَ الفَاعل ضمِير بارز عائِد إلىٰ الاسمِ المُتقدِّم، فيجبُ مُطابَقة الضَّمير المتَّصل بالفعل للاسمِ في الإفراد والتَّثنية والجَمع، فتقول: (الرَّجُلُ قَامَ)، وتقول: (الرَّجُلَانِ قَامَا)، وتقول: (الرِّجَال قَامُوا)، ذلك علىٰ لُغة جُمهُور العَرب، أمَّا علىٰ لُغَة «أَكلُوني البَرَاغِيثُ» - وهِي لُغة بَعضِ العَرب - وهِي لُغة فَصيحَة ولكنَّها قَليلة، حيثُ يُلحِقُون بالفِعل حروفًا تدلُّ علىٰ الفَاعِل، فإذا كان الفَاعِل مُثنَّىٰ أَلحقُوا بالفعل ألفًا، مثل: (ذَهَبَا الرَّجُلَانِ)، وألحقُوا بالفِعل وَاوًا إذا كان الفاعِل جَمع مثل: (ذَهَبُوا الرِّجَالُ).

وعلىٰ هذا وَرَد قوله تعالىٰ: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الأنبياء:٣] أي: أسرَّ الذين ظَلموا النَّجوىٰ، فَالفِعل (أسرَّ) جاءَ علىٰ لُغة «أَكلُونِي البَرَاغيث».

كَلمَة (نِسوَة) مُؤنَّث، وفعلها (قالَ) مُذكَّر وهذَا لَا إِشكَال فيهِ، لأنَّ الأَشيَاء التي تَدلُّ علىٰ الجَمع سِتَّة أَشيَاء:

١- جَمع المُذكَّر السَّالم، وهُو ما دلَّ علىٰ أكثَر من اثنَين بزيادَة واو ونُون في حالة الرَّفع، ويَاء ونُون في حالَتَي النَّصب والجرِّ، مثل: (المُسلِمُون والمُسلِمِين)، ومثل: المُعلِّمُون والمُعلِّمِين).

٢- جَمع المُؤنَّث السَّالِم، وهُو مَا دلَّ علَىٰ أَكثَر مِن اثنَتَينِ بزَيادَة أَلِف وتَاء علَىٰ مُفرَدِه، مثل: (مُسلِمَات ومُعلِّمَات).

٣- جَمع تَكسِير مُذكَّر، وهُو ما دلَّ علَىٰ أَكثَر مِنِ اثْنَتَينِ وتَغيَّرت صُورَة مُفرَدِه، مِثل: (كِتَاب) جمعها (كُتُب)، (مَسجِد) جمعها (مَسَاجِد)، (عَالِم) جمعها (عُلَمَاء).

٤- جَمع تَكسِير مُؤنَّث، وهُو ما دلَّ علَىٰ أَكثَر مِنِ اثنَتَين وتَغيَّرت صُورَة مُفردِهِ، مثل: (هِنْد) جَمعُها (هُنُود).

٥- اسمُ جَمع، وهو ما دلَّ علَىٰ أَكثَر من اثنَين ولَيس لَه مُفرَد مِن لَفظِه، مثل: (جَيْش) مُفرَدُه (جُنْدِي)، (قَوم) مفرده (رَجُل)، (نِسَاء) مفرده (امْرَأة)، (نِسْوَة) مُفرَده (امْرَأة)، (خَيل) مفرده (فَرَس)، (إِبِل) مفرده (نَاقَة)، (رَهْط) مفرده (رَجُل).

٦- اسم جِنس جَمعِي، وهُو ما دلَّ علَىٰ أَكثَر مِن اثنَينِ، ومُيِّز بينَه

وبَين مُفرَدِه بالتَّاء أو يَاءِ النَّسب المُشدَّدَه.

- مَا مُيز بينَه وبينَ مُفرَدِه بالتَّاء مثل: (تَمْر) مفرده (تَمْرَة)، (شَجَر) مفرده (شَجَرة)، (نَخْل) مفرده (نَخْلَة).

- وما مُيز بينَه وبينَ مُفرده بيَاء النَّسبِ المُشدَّدَة مِثل: (عَرَب) مفرده (عَرَبِيّ)، (رُوم) مُفرده (رُومِي)، (زِنْج) مفرده (زِنْجِي).

• وللعُلمَاء في الفِعل المُسند إلىٰ هذه الأشيَاء السِّتَّة ثَلاثَة مَذاهِب:

الأول: مَذهَب جُمهُور الكُوفِيِّين وهو أنَّه يَجوز في كل فِعل أُسنِد إلىٰ شيء من هذه الأشيَاء الستَّة أن يُؤتَىٰ بِهِ مُذكَّرًا أو مُؤنثًا؛ والسَّبب في هذا أنَّه يُعامَل مُعامَلَة المُؤنَّث المَجازِي في التَّذكير والتَّأنِيث، أي: أنَّه يَجُوز أن يُؤوَّل كل واحدٍ مِن هذهِ الأَشيَاء الستَّة بالجَمع، فيكُون مُذكَّر المَعنَىٰ فيُؤتَىٰ بفِعلِه مُذكَّرًا، مِثل: (جَاءَ القَومُ) أي جَاء جَمعُ القَومِ، (جَاءَ النِّسوَةُ) أي جَاءَ جَمعُ النِّسوَةِ، (جَاءَ الرِّجَالُ) أي: جَاءَ جَمْعُ الرِّجَال، (جَاءَ الهُنُودُ) أي: جَاءَ جَمْعُ الهُنُودِ، (جَاءَ المُسْلِمَاتُ) أي: جَاءَ جَمْعُ المُسْلِمَات، (جَاءَ المُسلِمُونَ) أي: جَاءَ جَمْعُ المُسلِمِين.

ويجُوز أن يؤوَّل كل واحدٍ من هذه الأشيَاء الستَّة بالجَمَاعة، فيكُون مُؤنَّث المَعنَىٰ، فيُؤتَىٰ بفعله مؤنَّثًا، مثل: (جَاءَتْ القَوْمُ) أي: جَاءَتْ جَمَاعَة القَومِ، (جَاءَتِ النِّسوَة) أي: جَاءَت جَمَاعَة النِّسوَة، (جَاءَتِ الرِّجَالُ) أي: جَاءَت جَمَاعَة الرِّجَالِ، (جَاءَتِ الهُنُودُ) أي: جَاءَت جماعةُ الهُنُود، (جَاءَت المُسلِمَات) أي: جَاءَت جَمَاعَة

المُسلِمَات، (جَاءَت المُسْلِمُون) أي: جَاءَت جَمَاعَة المُسلِمين.

قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ أي: قال: جَمع نِسوة، فتُعرَب (قَال) فِعل ماضٍ، (جَمع) فَاعِل، (نِسوَة) مضافٌ إِليه، (نِسوَة) كَانَت في الأَصلِ مُضَاف إلَيه فُحذِف الفَاعِل (جَمع)، وحَّل المُضَاف إليهِ مَحلّ الفَاعِل، فأَخذَ إِعرَابَه، فأَصبَحت (نِسوَة) بِعد أن كَانَت مُضَاف إِليهِ فَاعِل.

وقال تعالىٰ: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾[الروم:٢] أي: غُلِبَتْ جَمَاعَة الرَّوم.

قال تعالىٰ: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ﴾ [الحجرات:١٤] الأَعرَاب جَمع تَكسِير، فيجُوز في فِعلِه التَّذكِير والتَّأنِيث، فيَجُوز في اللُّغَة أن يُقال: (قالَ الأَعرَاب) علَىٰ تَأوِيل: قَال جَمعُ الأَعرَاب، ويَجوز: (قَالِتِ الأَعرَابُ) عَلَىٰ تَأوِيل: قَالَتْ جمَاعَة الأَعرَاب.

قال تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[الشعراء:١٠٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنعام:٦٦] فالآيَة الأُولىٰ تؤوَّل: كَذَّبت جمَاعَة قَوم نُوح، والآيَة الثَّانية تؤوَّل: وكذَّب بِهِ جَمع قَومِك وهُو الحَقُّ.

قال تعالىٰ: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [يونس:٩٠]، (آمَنت) فِعل مُؤنَّث، ولَفظ (بنو) فَاعِل مُذكَّر، ولفظ (بَنُو) في الأصل (بَنُون)، ثمَّ أُضيف إلىٰ إِسرَائيل فصارَ (بنُو) حُذفَت النُّون للإِضَافَة، فلفَظ (بنُو) جَمع مُذكَّر سَالِم في الظَّاهِر، ومُفرَد بنُون ابن فهُو جَمع تَكسِير مُذكَّر وفِعلُه مُؤنَّث.

قال عَبْدَةُ بنُ الطَّبيبِ من قصيدة له:

فَبَكَىٰ بَناتِي شَجْوَهُنَّ وَزَوْجَتِي ... وَالْأَقْرَبُونَ إِلَيَّ ثُمَّ تَصَدَّعُوا

(بَكَىٰ) فِعل مُذكَّر، (بنَاتِي) جَمع مُؤنَّث سالِم.

وقَال قُريط بن أنيَف (شَاعِر جَاهِلي) مِن شُعرَاء دِيوَان الحَمَاسَة:

لَوْ كُنْتُ مِنْ مازِنٍ لم تَسْتَبِحْ إِبْلِي ... بَنُو اللَّقِيطَةِ مِنْ ذُهْلِ بْنِ شَيْبانِ

(تَستَبِح) فِعل مُؤنَّث، (بَنُو) جَمع تَكسِير مُذكَّر.

المَذهَب الثَّانِي: مَذهب أبِي عليٍّ الفَارسيِّ، وخُلاصتُه: أنَّه يَجُوز الوَجهَان في جَمِيع هذه الأَنوَاع، إلَّا نَوعًا واحدًا، وهُو جَمع المُذكَّر السَّالِم، فإنَّه لَا يجُوز في الفعل الذي يُسنَد إليه إلَّا التَّذكِير.

المَذهَب الثَّالِث: مَذهَب جُمهُور البَصرِيِّين، وخُلاصَتُه: أنَّه يَجُوز الوَجهَان في أَربَعة أنوَاع، وهي: اسمُ الجَمع، واسمُ الجِنْس الجَمعِي، وجَمع التَّكسِير لمُذكَّر، وجَمع التَّكسِير لمُؤنَّث، أمَّا جمع المُذكَّر السَّالَم فلَا يَجُوز في فِعلِه إلَّا التَّذكِير، وجَمع المُؤنَّث السَّالِم، فَلا يَجُوز في فِعلِه إلَّا التَّأنِيث.

وهُناك كَلمَات أُخرَىٰ يَجُوز فيهَا التَّذكِير والتَّأنِيث، وهِي الكَلمَات المُؤنَّثه تَأنيثًا مَجازيًّا، ومَعنىٰ المُؤنَّث المَجازِي أَي: الَّذِي لَا يَلد ولا يَبِيض، والمُؤنَّث الحَقِيقي هو الذِي يَلِد أو يَبيض، فالمُؤنَّث المَجازِي مِثل: مَوعِظَة، الشَّمس، القَمَر، السَّمَاء، الأَرض، فإذَا كانَ الفَاعِل ضَمِير عَائِد علىٰ مُؤنَّث مَجازِي فيَجِب تَأنِيث الفِعل، مثل: الشَّمس طَلَعَتْ، ولَا يَجُوز الشَّمس طَلَع، ففي جُملَة (الشَّمس طَلَعَتْ):

(الشَّمس): مُبتَدأ و(طلعت): طلع فِعل مَاضٍ والتاء حرف تأنيث والفَاعِل ضَمير مُستَتِر تَقديرُه هِي عَائِد علَىٰ الشَّمس، وجُملَة (طَلعَت هِي) خَبَر المُبتَدأ، قال تعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾[الانشقاق:١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ﴾[الانشقاق:٣].

أمَّا إذَا كانَ الفِعل مُتقدِّم علَىٰ الفَاعِل، وكانَ الفَاعِل مُؤنَّث مَجازِي واسم ظَاهِر، فيجُوز في الفِعل التَّذكِير والتَّأنِيث، مِثل: (طَلَعَتِ الشَّمْسُ)، ويجُوز: (طَلَعَ الشَّمسُ)، لأنَّ الشَّمس مُؤنَّث مَجازِي، وفِعلُه متقدِّم عليه، قال تعالىٰ: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ﴾ [القيامة:٩] فجاءَ بالفعل مُذكَّر، ويجُوز في اللُّغة أن يُؤتَىٰ به مُؤنَّث (وجُمِعَت الشَّمس والقَمَر)، ولكنَّ الله تعالىٰ ذكرَ الفِعل مُذكَّر، وقال تعالىٰ: ﴿قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ﴾ [يونس:٥٧]، وقال تعالىٰ: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [البقرة:٢٧٥] كَلمَة (مَوعِظَة) مُؤنَّثة تَأنِيث مَجازِي، وفَاعل واسم ظاهر، فجازَ في فعلها المُتقدِّم عليها التَّذكير والتَّأنيث، (جَاءَ، جَاءَتْ) وقال تعالىٰ: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ [هود:٦٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ [هود:٩٤] الصَّيحَة فَاعل مؤنَّث مَجازِي واسم ظَاهِر.

إذَا كانَ الفَاعِل اسمٌ ظَاهِر حقيقي التَّأنِيث مَفصولًا عن فِعلِه بغَير (إلَّا) فيجُوز التَّذكِير والتَّأنِيث، نحو: (حَضَرَتِ إلَىٰ القَاضِي امْرَأَةٌ)، (حَضَرَ) فعل مَاضٍ، و(امْرَأة) فَاعِل، وفُصل بينَ الفِعل والفَاعِل بغَير (إلَّا)، فيَجُوز التَّذكِير والتَّأنِيث، فيَجُوز (حَضَرَت إلَىٰ القَاضِي امْرَأَةٌ)، ويَجُوز: (حَضَر إلَىٰ القَاضِي امرَأةٌ)، قال تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ﴾

[الممتحنة:١٢] (جَاءَ) فِعل مُذكَّر (المُؤمِنَات) مُؤنَّث حَقِيقِي.

أمَّا إذا كانَ الفَاصِل بينَ الفَاعِل (المُؤنَّث الحَقيقِي)، وفِعلُه (إِلَّا) فلَا يُؤنَّث الفِعل نحو: (مَا نَجَح إِلَّا فَاطِمَةُ)، ولَا يجُوز: (مَا نَجَحَتْ إِلَّا فَاطِمَةُ).

(نِعم وبِئسَ) إذَا كان فَاعِلهُما مُؤنَّث حَقِيقِي فيَجُوز فِيه التَّذكِير والتَّأنِيث فيَجُوز (هِند نِعم المَرأَة)، ويَجُوز (هِنْدُ نِعمَتْ المَرأةُ)، ويَجُوز: (هِنْدُ بِئْسَ المَرْأَةُ)، ويَجُوز (هِندُ بِئْسَت المَرأةُ)؛ لأنَّ الفَاعِل مَعهَا لَا يُراد بِهِ مُعيَّن، ولَكِن يُرادُ بِهِ الجِنس.

تَقول: (نِعم المَرأةُ هِندُ)، (نِعمَتْ المَرأَةُ هِنْدُ) وتقول: (بِئسَ المَرأَةُ هِنْدُ)، (بِئْسَتِ المَرْأَةُ هِنْدُ)؛ لأنَّ فَاعِلهُمَا مَقصُود بِهِ استِغرَاق الجِنسِ علَىٰ سَبِيل المُبَالَغَة فِي المَدحِ والذَّمِّ، فعُومِل مُعامَلَة الجَمع في جَوازِ تَذكِير الفِعل وتَأنِيثِه»[١].



(١) شرح الفية ابن مالك الشيخ سليمان بن عبدالعزيز العيوني (٣/ ٧٩- ٨٤، ٥٩- ٦١)، (٧/ ٧- ١١)، شرح ابن عقيل علىٰ الفية ابن مالك (١/ ٧٣)، (٢/ ٩٤- ٩٥)، شرح الكافيه الشافيه (٢/ ٥٩٩)، شرح الأشموني علىٰ ألفية ابن مالك (١/ ٤٠١) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (٣/ ٣٣٤).

قال تعالى:

﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ﴾

[يوسف:٣٣]

«(أَحَبُّ) اسمُ تَفضِيل

اسمُ التَّفضِيل هو اسم مَشتقٌّ مَصوغ للدَلالَة غالبًا علىٰ أن شَيئَين اشتركَا في صِفة وزَاد أحَدُهما علىٰ الآخر في هذِه الصِّفَة، فالزَّائِد مِنها يُسمَّىٰ مُفضَّلًا، والآخر يُسمَّىٰ مفضلا عليه.

تقُول: (زَيْدٌ أَكْرَمُ مِنْ عَمْرٍو)، وأنتَ تَقصِد أنَّ: زَيدٌ كَرِيمٌ وعَمرٌو كَرِيمٌ، ولكنَّ زَيدٌ أَكثَر كَرمًا مِن عَمرٍو.

وقَد يُطلَق اسمُ التَّفضِيل ويُرَاد به مُطلَق الوَصفِ، قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم:٢٧] أي: أنَّ إعادَة الخَلقِ سَهلٌ عَليهِ كمَا أنَّ بَدأُه سَهل عَليه؛ لأنَّ قُدرة الله واحدَة لا تتفَاضَل، فهو سُبحانَه قادرٌ علىٰ كلِّ شيءٍ، فلَفظ (أَهْوَن) لَا يَعنِي أن بَدأَ الخَلقِ أَصعَب علَىٰ اللهِ، وإِعادَة الخَلق أَيسَر، ولكن يَعني أن إعادَة الخَلقِ يَسِير وسَهلٌ علىٰ اللهِ، كمَا أن بَدأَه يَسيرٌ وسهلٌ عليهِ فإنَّه سُبحَانه لَا يُعجِزُهُ شيءٌ.

وقَد يُطلَق اسمُ التَّفضِيل ويُراد بِهِ تَخصِيص شيءٍ بِالفَضيلَة دُون غَيرِه، قال تعالىٰ: ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ [الفرقان:٢٤]، وقال تعالىٰ: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ

ﵟٱلۡمُتَّقُونَۚﵞ [الفرقان:١٥]، وقال تعالىٰ: ﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ [الصافات:٦٢] ومنَ المَعلُوم أنَّ الخَير في الجنَّة، فهِي كُلُّها خير مَحض، أمَّا النَّار فلا خَيرَ فِيها، فهِي كلُّها شرٌّ مَحض، ولكن جِيءَ باسمِ التَّفضِيل لِيُخصِّص الجنَّة بِالخَيرِ دُونَ النَّارِ.

قال تعالىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ﴾ أي: أنَّه يُحِبُّ السِّجن لمَا فيه من إبعَادِه عن الفَاحشَة والنِّسوَة، ويَكرَه دَعوَة امرَأة العَزِيز والنِّسوَه لَه لِفعلِ الفَحشَاء، فيُوسُف توفَّر لَه مِنَ الدَّوَاعي لِفِعل الفَاحِشَه الكَثِير، ورَغم ذَلِك لَم يَفعَلها بَل لَم يَأتِ بمُقدمَاتِها، مِن حَديث نَفسٍ أو نَظَره أو قُبلَه أَو كَلمة مُحرَّمة، وآثَر السِّجنَ، ذلك لأنَّ الفاحِشَة فِعلُها يَستَعقِبهُ الخِزي في الدُّنيا والعقَاب في الآخِرَة، أمَّا السِّجنُ فسيَعقُبه العزُّ في الدُّنيا والنَّعِيم المُقِيم في الآخِرَة، فآثَر العَاقبةَ الحَمِيدَة علىٰ اللَّذَّة الفَانِيَة.

ففي الآية تَخصِيص الحبِّ للسِّجن دُون الفَحشَاء ومُقدِّمَاتِها، فهُو يحبُّ السِّجن ويَكرَه النِّسوَة والفَحشَاء ومُقدِّمَات الفَحشَاء»[١].



(١) قواعد التفسير جمعًا ودراسه للشيخ خالد السبت (١/ ٢٥٨-٢٦١).

كتب أهل الكتاب محرفة

قال تعالىٰ: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء:٤٦]، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٧٥].

• وعَن تَحرِيفِهِم بِالنَّقصِ يقُولُ: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام:٩١]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُوْلَـٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٧٤]، ويقول: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [المائدة:١٥].

وعَن تَحرِيفِهم بالزِّيادَة والكَذبِ علَىٰ اللهِ يقُولُ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة:٧٩]، وقال: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:٧٨].

فالتَّحرِيف إذًا يكُون بالنَّقصِ والزِّيادَة، وكلُّ ذَلِك وَقعَ في العَهدِ

القَدِيم والعَهدِ الجَدِيدِ.

«إنَّ كتُب أهلِ الكتَاب فِيها سبٌّ لله وأنبيَائِه، ففِيها وَصفٌ لله تعالىٰ بأنَّه يَندَم – والنَّدم صفَة نَقصٍ لأنَّه يكُون عندما يُسِيء شَخص التَّصرُّف ويجهَل عَواقِب الأُمُور – وتَصفُ اللهَ بأنه ينَسىٰ ويتَعبَ، فتَصفُه بأنَّه خلقَ السَّماوات والأرضَ في ستَّة أيَّام ثمَّ استَراح في اليَوم السَّابع.

وتَصِف أَنبيَاء الله بأَقبَح الأَوصَاف، فتَصِفُ نَبِيَّ اللهِ نُوح بأنه سَكَر وشرِبَ الخَمر وتعرَّىٰ دَاخل خِباءِه، ثمَّ خَرج من خِباءِه عُريانًا فستَره أبنَاؤُه، وتَصِف نَبيَّ اللهِ أشعِيَاء بأنَّه بقِي عَاريًا حَافيًا ثَلاثَ سَنوَات، وتَصف نبيَّ الله دَاوُد بأنَّه زَنَىٰ بامرَأة أُوريا الحثِّي أحَد جُنُودِه، ثمَّ طَلب من قائِد الجَيش أَن يَجعلَ أُوريا في مُقدِّمَة الجَيش، ثم يَتركُوه يُقاتِل الأعدَاء حتىٰ يُقتَل ويتزَوَّج داود تلكَ المَرأة التِيٰ زَنىٰ بها، وفَعل قَائِد الجَيش ما أمرَه بِهِ دَاود، وتَزوَّج دَاود تِلك المَرأَة. وتَصفُ ابن دَاود (أبشَالُوم) زَنَىٰ قَهرًا بنِساءِ داود أبيهِ أمَام بني إسرَائيل، وتَصفِ ابنًا آخرَ لدَاود (أمنون) بأنَّه زنَىٰ قَهرًا بأُختِه (ثامار). وتَصِف نبيَّ اللهِ لُوط بأنَّه شرِب الخَمر وزنَىٰ بِابنَتَيه، وتَصِف نبيَّ اللهِ سُليمَان بأنَّه في آخرِ حيَاتِه تَبع نِسائِه الكَافِرَات، وارتَدَّ عَن الإيمَان باللهِ، وعبَد مَع نِسائِه الكَافراتِ الأَصنَام، وتصفُ نبيَّ اللهِ هَارُون بأنَّه صنَع العِجل لبَني إِسرَائِيل، وعَبدُوه، وتَصِفُ اللهَ بأنَّه صَارع يَعقُوب ولَم يَقدِر علىٰ هَزيمَة يَعقُوب حتَّىٰ ضرَب حق فَخِذ يَعقُوب، وظلَّ يُصارِعُه حتَّىٰ طُلُوع الفَجرِ، وطلَب من يعقُوب أن يَترُكه، ولكنَّ يَعقُوب أَبىٰ حتَّىٰ يُبارِكه فبَارَكه.

وكذلك ما رُوي عِندنَا في كتب التَّفسير من أن يُوسُف تَجرَّد مِن ثيَابِه، وقعَد بينَ رِجلَي امرأةِ العزيزِ، وما رُوي أنَّه رأىٰ صُورَة يَعقُوب في الحَائِط أوِ السَّقفِ أو رَأىٰ كفًّا خَرجَت له بُدون جَسَد، يَقينًا أُخذَ من كُتُب أهلِ الكِتَاب المُحرَّفة التي فيهَا سبٌّ للهِ وأنبيائِه»[١].

● **قد يُعترَض علىٰ ذَلكَ فيُقالُ**: إذَا نَظرنَا في العَهدِ القَدِيم المُترَجَم بِالعَربيَّة؛ لَا نَجِد أنَّ يُوسُف تَجرَّد مِن ثِيابِه، وجَلَس بَينَ رِجْلَي امْرَأة العَزيزِ أَو أنَّه رَأىٰ صُورَة يَعقُوب، أَو أنَّ امرَأَة العَزيزِ ذَكرَت لِيُوسُف مَحاسِن جَسدَه.

فالجَوابُ : أنَّه كانَ في عَهدِ السَّلَف النُّسخَة التي مَعهُم منَ العَهدِ القَدِيم، فِيهَا مَا حدَث بينَ امرَأَةِ العَزيزِ ويُوسُف ثمَّ بَعد ذَلِك قَد حُذفَت؛ لأنَّ عُلمَاء اليَهودِ والنَّصارَىٰ دَائمًا يُحرِّفُون في كُتُبِهم، فمِن قَبل نُزُولِ القُرآنِ إلَىٰ اليَوم عُلمَاءُ اليَهودِ والنَّصارَىٰ يُحرِّفُون في كُتُبِهم

(١) (ندم الرب (سفر الخروج ٣٢/ ١٤)، نسيان الله (سفر الخروج ٦/ ٥)، استراح الله في اليوم السابع (سفر التكوين ٢ / ٢)، نوح يتعرىٰ ويشرب الخمر (سفر التكوين ٩ / ٢٠-٢١)، نبي الله اشعياء عار وحاف ثلاثسنوات(سفر اشعياء ٢٠ / ٣- ٥)، داود زنىٰ بامرأة أوريا الحثي (سفر صموئيل الثاني ١١ / ١-٥)، قتل داود أوريا الحثي (١١ / ١٤ – ١٧ ، ١١ / ٢٦ – ٢٧ ، ١٢ / ٩ – ١٢)، زنىٰ ابن داود بنساء داود أبيه (سفر صموئيل الثاني ١٦ / ٢٢)، زنىٰ ابن داود بأخته (سفر صموئيل الثاني ١٣ / ١ - ١٤)، سليمان عبد الأصنام مع نسائه (سفر الملوك أول ١١/ ٤ - ١٠)، لوط زنىٰ بابنتيه (سفر التكوين ١٩ / ٣٠ – ٣٨)، هارون صنع العجل (سفر الخروج ٣٢/ ١- ٦)، صارع يعقوب الله (سفر التكوين ٣٢ / ٢٤ – ٣٠).

فَمَن يَقرأُ في رُدُودِ ابنِ تَيمِيَة علَىٰ النَّصارَىٰ يَجد أَدلَّة في العَهدِ القَدِيمِ والجَدِيد يَستَدلُّ بِها ابنُ تَيمِيةَ غَير مُوجودَة في العَهدِ القَدِيمِ والجَديدِ الذِي بينَ أَيدِينَا اليَوم.

ونَذكُر بَعض الأَدلَّة علَىٰ أنَّ التَّحرِيفَ مُستَمِرٌّ إلَىٰ اليَومِ:

«في سِفرِ الأَيَّام الأَوَّل نَقص عَوَّضه كَتبَة الكتَاب المُقدَّس بنُجُوم أَثبَتُوا مِن خِلالِهَا ضَيَاع بَعض كَلمَات النَّامُوس، إِذ يقُول: «وبَنُو عزرة يثر ومرد وعافر ويالون ****** وحَبلَت بمَريَم وشماي ويشبح أبي اشتموع» (الأيام (١) ٤/ ١٧)، ثمَّ بَعد ذَلِك قَامَت دَار الكتَابِ المُقدَّس بإِزَالَة النُّجُوم ووَضعُوا مكَانَها فَرَاغ في النُّسخَه المَطبُوعَة سنة١٩٩٣ م فأَصبَحَت هكذَا: «وبنو عزرة يثر ومرد وعافر ويالون

وحبلت بمريم وشماي ويشبح أبي اشتموع» ثمَّ بعدَ ذَلِك في طبعة ٢٠٠٣ م قَامُوا بحَذف الفَراغ لتُصبِح هكذَا: «وبنو عزرة يثر ومرد وعافر ويالون وحبلت بمريم وشماي ويشبح أبي اشتموع» ولكنَّ المُشكِلَة أنَّ (يالون) اسمُ رجلٍ وهُو اسمُ الابنِ الرَّابِع لِعزرَة مِن سِبط يَهُوذَا ، فكَيف يَحمَل ؟!

فقَامَت التَّرجَمَه العَربيَّة المُشتَركَة بحلِّ تِلكَ المُشكِلة فوضعُوا النَّصَّ هكذَا: «وبنو عزرة يثر ومرد وعافر ويالون وتزوج مرد بثية وحبلت بمريم وشماي ويشبح أبي اشتموع» وتَبعَهم علَىٰ ذَلك تَرجمَة كِتابِ الحيَاة، فهُم أَكمَلُوا هذا النصَّ مِن عِندِهِم، ولَا يُوجَد مَخطُوطة

تُبَيِّن ذَلِكَ»[١].

«ووقَع النَّقصُ فِي رِسَالَة مَلِك أَرَام إلَىٰ مَلِك إِسرَائِيل: «فأتىٰ بالكتاب إلىٰ ملك إسرائيل يقول فيه ******، فالآن عند وصول هذا الكتاب إليك، هوذا قد أرسلت إليك نعمان عبدي، فاشفه من برصه» (الملوك (٢) ٥/ ٦)»[٢].

«الآية[٣] الثامنة من الباب الرابع من سفر التكوين هكذا: «وقال قابيل لهابيل أخيه ولما صارا في الحقل قام قابيل علىٰ هابيل أخيه فقتله» وفي النُّسخَة السَّامرِيَّة واليُونانِيَّة والتَّراجِم القديمة هكذا: «وقال قابيل لهابيل أخيه تعال نخرج إلىٰ الحقل ولما صارا في الحقل» إلىٰ آخرها فهذه العبارة (تعال نخرج إلىٰ الحقل) سَقطَت منَ العَبرَانِيَّة»[٤].

«وفي ترجمة (سميث فان دايك) (متىٰ ٥: ٤٤): «وأمَّا أنَا فأَقُول لكُم: أَحبُّوا أَعدَاءَكم، بَارِكُوا لَاعِنِيكُم، أَحسِنُوا إلَىٰ مُبغَضِيكُم، وصِلُوا لأَجلِ الذِين يُسيئُون إِليكُم ويَطردُونكُم»، نص: «بَارِكُوا لَاعِنِيكُم، أَحسِنُوا إلَىٰ مُبغَضِيكُم» هذا النَّصُّ مَوجُود في (تَرجَمَة كتَاب الحَيَاة) و(سِمِيث فَان دَايك)، وتمَّ حَذفُه من (التَّرجَمة العَربيَّة المُشتَركَه) و(التَّرجمة الكَاثُولِيكِيَّه)، و(التَّرجَمَة العَربيَّة المُبسَّطَة)، و(التَّرجَمَة

---

(١) (تحريف مخطوطات الكتاب المقدس) علي الريس (١٦٩ ، ١٧٠)، وهو كتاب نفيس.

(٢) (هل العهد القديم كلمة الله) منقذ السقار (١٤٩).

(٣) نرفض قوله: (آية)؛ لأنه كتاب محرف.

(٤) (إظهار الحق) لرحمة الله الهندي (٢/ ٥٢١ ، ٥٢٢).

الأَمرِيكيَّة القِيَاسِيَّة الحَدِيثَة)، و (التَّرجَمَة المُنقَّحَة القِيَاسِيَّة»[١].

«تَرجَمَة المَلِك جِيمس الحَديثةِ المَطبُوعَة سنة ١٩٨٢م حَذفَت ٢٢٨٩ كلمة من تَرجَمة المَلِك جيمس القَديمَة التي طُبعَت سنة ١٦١١م، ولكِن لَم تحذَف أَي عَدد، وأيضًا التَّرجَمة الدَّولِيَّة الحَديثة حَذفَت ٥٢١٩ كلمة و ١٦ عددًا، وأَيضًا النُّسخَة الأَمرِيكِيَّة القيَاسيَّة الحَديثَة أَضَافَت ٣٥٦١ كَلمَة للشرح وحَذفَت ١٧ عددًا»[٢].

ولكن وجدنا في النَّصِّ العِبرِي الموجود بين أيدينا اليوم أن يُوسُف صَعدَ معَ امرَأة العزيزِ علىٰ السَّرِيرِ ورَأىٰ صُورَة وَجه أَبيه، وقَد ذكر ذلك الدُّكتورة آمَال مُحمَّد عبد الرَّحمَن رَبِيع في كِتَاب «الإِسرَائِيلِيَّات في تَفسِير الطَّبرِي» (صفحة ٢٦٣).



(١) (البيان الصحيح لدين المسيح) ياسر جبر (١٧٠، ١٧١).

(٢) (البيان الصحيح لدين المسيح) ياسر جبر (١٨٥).

القرآن الكريم يشهد التاريخ لصدقه

«لَفظُ المَلِك والعزيزِ وَردَ في سُورَة يُوسُف، ولَم يَرِد لَفظ فِرعَون مَع أنَّ حُكَّام مِصر فَراعِنة، ووَرَد في قصَّة مُوسَىٰ لَفظ فِرعَون، وهذَا لَيس فِيه إِشكَالٌ لأنَّ الهُكسُوس وهُم قَومٌ من أَعرَاب الجَزيرة العَربيَّة قَد اجتَاحُوا أرضَ مِصرَ مَدفُوعِين بِالقَحطِ الذي أَصَاب الجَزيرَة العَربيَّة، وقَد انتَهزَ الهُكسُوس انحِلَال الأُسرة الثَّالِثَة عَشَر الفَرعونِيَّة بِسبب الخِلاف علىٰ وِلايَة العَهد؛ فاستَولوا علىٰ شَرق الدِّلتَا ثم انتَقَلُوا إلىٰ أَوارِيس، وجَعلُوها عاصِمَة لهم، وهِي بِالقُرب مِن الزَّقازِيق، وحَكمُوا تِلك المَنطِقَه (شَرق الدِّلتَا)، أمَّا الفَراعِنَة فقَد بَقَوا بجَنُوب مِصر مُتَّخذِين طِيبَة (الأُقصُر) عَاصِمَة لَهُم، ويُرجِّح الدُّكتور (بَاهُور لَبِيب) أن مُدَّة الهكسُوس بمصر كانت من سنة ١٧٣٠ قبل الميلاد إلىٰ سنة ١٥٨٠ قبل الميلاد، وخِلال تلكَ الفَتره جاء يُوسُف إلىٰ مِصر، وجَاء بعد ذَلِك أبُوه وإِخوَتِه، وعَاشُوا في مِصر في رَغدٍ منَ العَيش في ظِلِّ حكم الهكسوس في شرق الدِّلتَا ثمَّ مَات يَعقُوب وبَنِيه، ثُّم قَاتَل أَحمُس – فرعَون منَ الفَراعِنَة – الهكسُوس وطَردَهُم مِن مَصر، وبَقي بنُو إسرَائِيل في مِصر تَحت حُكم الفَراعِنَة، ولكنَّهُم كانُوا مُنعزِلين عن سُكَّان مِصر الأَصلِيِّين، وكانَ عَدد بنَي إِسرَائِيل يَزيد يومًا بعد يوم، فخافَ فِرعَون أن يَسلِبُوا مِنه الحُكمَ، فاستَشَار الكَهنَة والحُكمَاء، فأشَارُوا عليهِ بقَتلِ الأَطفَال الذُّكُور مِن بَني إِسرَائيل واستِبقَاء الإنَاث،

واضْطَهد بنَي إسرَائِيل وأَذاقَهم سُوء العَذابِ، وكانَ ذَلِك في زَمَن مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقصَّة مُوسَىٰ وفِرعُون مَذكُورَة في القُرآن، والخُلاصَة أنَّ المَلِك والعَزِيز لَم يكُونا من الفَراعِنة بَل مِن الهكسوس»[1].

أمَّا في العَهدِ القَدِيم فيَرِد لَفظ فِرعُون في قِصَّة يُوسُف في سِفر التَّكوِين.

وذَلِك يدلُّ علَىٰ صِدق القُرآن، وأنَّه تَنزِيل مِن لَدُن حَكِيم عَلِيم، وأنَّ كُتُب أَهلِ الكِتَاب مُحرَّفة.



(١) مقارنة الأديان (اليهودية) دكتور أحمد شلبي (٥٢ ، ٥٤ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٦٥) ، التحرير والتنوير (١٢/ ٢٨٠).

أقوال العلماء الذين ضعفوا روايات كتب التفسير في أن يُوسُف تجرد من ثيابه وقعد بين رجلي امرأة العزيز وغيرها من الروايات الباطله

قال الشَّيخ محمَّد الأمِين الشَّنقِيطي بَعدَ أَن سَرَد رِوايَات «الدُّرِّ المَنثُور» لِلسِّيُوطِي (أضواء البيان٢/ ٢١٤-٢١٥): **(هذِه الأَقوَال التي رَأيتُ نِسبتَها إلىٰ هؤُلاء العُلماءِ مُنقَسمَة إلَىٰ قِسمَين:**

- قِسمٌ لَم يَثبُت نقلُه عمَّن نَقلَه عَنه بسَندٍ صَحيح، وهذَا لا إِشكَال فِي سُقُوطِه.

- وقِسم ثَبت عن بعض مَن ذَكر، ومَن ثَبت عَنه مِنهُم شيءٌ مِن ذَلِك، فالظَّاهِر الغَالِب علَىٰ الظنِّ المُزَاحِم لِليَقينِ: أنَّه إنَّمَا تَلقَّاه عن الإِسرَائِيليَّات؛ لأَنَّه لا مَجَال للرَّأي فيه، ولَم يُرفَع مِنه قَليل ولَا كَثِير إِليهِ ﷺ.

وبهذَا تَعلم أنَّه لا يَنبَغي التجرُّؤ علىٰ القولِ في نبيِّ الله يُوسُف بأنَّه جلسَ بينَ رِجلَي كَافِرَة أَجنبيَّة، يُريد أن يَزنِي بِها، اعتِمادًا علىٰ مِثل هذه الرِّوايَات، **مَع أنَّ في الرِّوايَات المَذكُورة ما تَلوح عليه لوَائِح الكَذِب، كقِصَّة الكفِّ التي خَرجَت لَه أَربَع مرَّات، وفي ثَلاثٍ مِنهُنَّ لا يُبالِي بهَا؛ لأنَّ ذلك علىٰ فَرض صحَّته فيه أَكبر زَاجِر لعوامِّ الفُسَّاق، فما ظنُّك بخيَار الأَنبيَاء؟** مع أنَّا قدَّمنا دلَالة القرآنِ علىٰ بَراءَته من جهَات مُتعدِّدة، وأَوضَحنَا أن الحقِيقَة لا تَتعدَّىٰ أحد أَمرَين:

إمَّا أَن يكُون لَم يَقَع مِنه هَمٌّ بِها أَصلًا، بِنَاء علىٰ تَعلِيق همِّه علَىٰ عـدَم رُؤيَـة البُرهَـان، وقـد رَأىٰ البرهَـان، وإمَّـا أن يكـون همُّـه المَيـل الطَّبِيعي المَزمُوم بالتَّقوَىٰ، والعِلم عندَ الله تعالىٰ.

واختَلف العُلماء في المُراد بالسُّـوء والفَحشَـاء، اللَّـذَينِ ذَكـر اللهُ في هذه الآية أنَّه صَرفَهُمَا عن نَبيِّه يُوسُف.

فروىٰ ابنُ أبي حاتِم، وأبُو الشَّيخ، عن عبـد الـرَّحمن بـن يَزِيـد بـن جَـابِر رضي الله عنه، فِـي قولـه: ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾، قـال: الزِّنَـىٰ، والثَّناء القَبِيح. اهـ.

وقـال بعـضُ العُلمَـاء: السُّـوء: مُقـدِّمَات الفَاحِشَـة، كَالقُبلَـة، والفَاحِشَة: الزِّنَىٰ.

وقِيل: السَّوء: جِنايَة اليَدِ، والفَاحِشَة: الزِّنىٰ».

قـال شـيخُ الإسـلَام ابـنُ تَيمِيَـة في مجمـوع الفتـاوىٰ (١٥/ ١٤٨- ١٥٠): «ويُوسُف صلى الله عليه وسلم لَـم يَـذكُر الله تعـالَىٰ عنهُ في القـرآنِ أنَّـه فعـل مـع المَرأةِ مَا يتُوب عَنه، أَو يَستَغفر مِنه أَصلًا. **وقد اتَّفق النَّاس علىٰ أنَّـه لَـم تقع منه الفَاحِشَة ولكنَّ بعضَ النَّاس يَذكُر أنَّه وَقَع مِنه بَعضُ مُقـدِّماتها، مِثل مَا يَذكُرون أنَّه حلَّ السَّرَاوِيل وقَعَد مِنهَا مَقعَد الخَاتِن، ونَحو هـذَا، ومَا ينقُلُونَه في ذلك لَيس هُو عَن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ولَا مُستَنَد لَهُم فِيـه إلَّا النَّقـل عَن بَعضِ أهـلِ الكِتَـاب، وقَـد عُـرِف كَـلَام اليَهُـود في الأَنبيَـاء وغَضُّـهم مِنهُم**، كمَا قالُوا في سُليمَان ما قَالُوا وفِي دَاود ما قَالُوا، فلَو لـم يكُـن مَعنَـا ما يَردُّ نَقلهم لَم نَصدِّقُهم فيمَا لَم نَعلَـم صِـدقُهم فيـهِ، فكَيـف نُصـدِّقُهم

فيمَا قَد دلَّ القُرآنُ علىٰ خِلافِه. والقُرآن قد أَخبَر عن يُوسُف من الاستِعصَام والتَّقوَىٰ والصَّبر في هذِه القَضيَّة مَا لم يُذكَر عَن أحدٍ نَظيرُه فَلو كان يُوسُف قَد أَذنَب لكَانَ إمَّا مُصرًّا وإمَّا تَائبًا، والإصرَار مُمتَنع فتعيَّن أن يكُون تَائبًا. واللهُ لَم يَذكُر عَنه تَوبَة في هذا ولا استِغفَارًا، كمَا ذكرَ عَن غَيرِه منَ الأنبيَاء؛ فدلَّ ذلك علىٰ أنَّ مَا فَعلَه يُوسُف كَانَ منَ الحَسنَات المَبرُورَة والمَسَاعِي المَشكُورَة، كمَا أَخبَر اللهُ عنه بقَولِه تَعالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف:٩٠]. وإذَا كان الأمرُ في يُوسُف كذلك؛ كَانَ مَا ذُكر من قولِه: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ [يوسف:٥٣] **إنَّما يُناسِب حَال امرأة العَزيز، لَا يُناسِب حَال يُوسُف، فإضَافة الذُّنوبِ إلىٰ يُوسُف في هذِه القضيَّة فِريَة علَىٰ الكِتَاب وَالرَّسول، وفيهِ تَحرِيف للكَلِم عن مَواضعِه وفِيه الاغتِيَاب لِنَبِي كريمٍ، وقَولُ البَاطِل فيهِ بلا دَلِيل، ونِسبتُه إلىٰ مَا نَزهَّه اللهُ مِنه، وغير مُستَبعَد أن يكونَ أصلُ هذا من اليَهودِ أَهل البُهتِ الذِين كانُوا يَرمُون مُوسَىٰ بمَا برَّأه اللهُ مِنه، فكَيف بِغيرِه منَ الأنبِيَاء؟ وقَد تَلقَّىٰ نَقلُهم من أَحسَن بِهِ الظنَّ وجَعل تَفسِير القُرآن تابعًا لهذا الاعتِقَاد**».

قالَ ابنُ تَيمية في مَجموع الفتاوىٰ (١٠ / ٢٩٦، ٢٩٧): «واللهُ تعالىٰ لَم يَذكُر في القرآن شيئًا من ذَلك عن نبيٍّ منَ الأَنبيَاءِ، إلَّا مَقرُونًا بالتَّوبَة والاستِغفَار، كقَولِ آدَم وزَوجَتِه: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣]، وقول نُوح: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ

أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود:٤٧]، وقول الخَلِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم:٤١]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء:٨٢]، وقَول مُوسَىٰ: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَاۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف:١٥٥]، ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:١٥٦]، وقَولُه: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾ [القصص:١٦]، وقوله: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٤٣]، وقَولُه تعالَىٰ عَن دَاود: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص:٢٤]، ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص:٢٥]، وقوله تعالىٰ عن سُليمَان: ﴿ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص:٣٥] .

وأَمَّا يُوسُف الصِّدِّيق فلَم يَذكر اللهُ عَنه ذَنبًا، فلهَذَا لَم يَذكُر اللهُ عَنه مَا يُناسب الذَّنبَ منَ الاستِغفَار بَل قَالَ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٤] فَأَخبر أنَّه صَرف عَنه السُّوء وَالفَحشَاء وهذَا يدلُّ علَىٰ أنَّه لَم يَصدُر مِنه سُوءٌ ولَا فَحشَاء. وأَمَّا قَولُه: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾، فالهَمُّ اسمُ جِنس تَحته (نَوعَان) كمَا قال الإمَام أَحمَد: الهَمُّ همَّان: هَمُّ خَطرَات، وهَمُّ إِصرَار، وقَد ثَبتَ في الصَّحِيح عنِ النَّبيِّ ﷺ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيهِ، وإِذَا تَركَهَا للهِ كُتِبَتْ لَه حَسنَة، وإِن عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ سِيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ». وإِن تَركَها مِن غَير أن يتركَها للهِ لَم تُكتب لَه حَسنَة ولَا

تُكتَب عَليه سَيِّئَة، ويُوسُف ﷺ همَّ همًّا تَركَه لله، ولذِلَك صرَف اللهُ عَنه السُّوء والفَحشَاء لإِخلَاصِه، وذَلك إنَّما يكُون إذا قامَ المُقتَضي للذَّنب، وهُو الهمُّ وعَارَضَه الإِخلَاص المُوجِب لانصِرَاف القَلبِ عَنِ الذَّنبِ للهِ. فيُوسُف عَلَيْهِ السَّلَامُ لَم يَصدُر مِنه إلَّا حَسنَة يُثاب عَليها؟ وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١]، **وأمَّا ما يُنقَل: مِن أنَّه حلَّ سَراوِيلَه، وجَلس مَجلِس الرَّجل من المَرأة، وأنَّه رَأىٰ صُورَة يَعقُوب عاضًا علىٰ يَدِه، وأمثَال ذلك فكلُّه ممَّا لم يُخبِر الله بهِ ولا رَسولُه، ومَا لم يكُن كذلك فإنَّما هُو مَأخُوذ عنِ اليَهود الذِين هُم من أَعظَم النَّاس كَذبًا علىٰ الأَنبيَاء وقَدحًا فِيهم، وكلُّ من نَقلَه من المُسلِمين فعَنهُم نَقلَه؛ لَم يَنقُل من ذَلِك أحدٌ عن نَبيِّنا ﷺ حَرفًا وَاحدًا**».

قال أبُو حيَّان الأَندَلُسِي في البَحر المُحِيط (٦/ ٢٥٨): «**وأمَّا أَقوَال السَّلف فنَعتَقد أنَّه لا يصحُّ عَن أحدٍ منهُم شيءٌ من ذلك، لأنها أقوال متكَاذِبة يُناقِض بعضُها بعضًا، مَع كَونها قادِحَة في بعض فُسَّاق المُسلِمين، فضلًا عن المَقطُوع لَهم بالعِصمَة.** والذي روي عن السَّلف لا يُساعِد عليه كلَام العربِ، لأنهُم قدَّروا جَواب لَولَا مَحذُوفًا، ولا يدلُّ عليه دَلِيل، لأَنَّهم لم يُقدِّروا لَهم بها. ولا يدلُّ كلام العَرب إلَّا علىٰ أن يكُون المَحذُوف من معنىٰ مَا قَبل الشَّرط، لأنَّ مَا قبل الشَّرط دَلِيل عَليهِ، ولَا يُحذَف الشَّيء لغَير دَليل عَليهِ. **وقَد طهَّرنَا كتابَنا هذَا عَن نَقلِ مَا في كتبِ التَّفسِير ممَّا لَا يَلِيق ذِكرُه، واقتَصرنا علىٰ ما دلَّ**

عليه لسانُ العَربِ، ومَساق الآيَات التي في هذِه السُّورَة ممَّا يدلُّ علَىٰ العِصمَة، وبَراءَة يُوسُف عَلَيْهِ السَّلَامُ مِن كلِّ مَا يُشِين. ومَن أَراد أَن يَقف علَىٰ مَا نُقل عَن المُفسِّرين في هذه الآيَة فليُطَالِع ذَلك في تَفسِير الزَّمخشَرِي، وابنِ عطيَّة، وغَيرِهما».

قال الفَخرُ الرَازِي في تَفسِره (١٨ / ٤٦٩): «**قَول يُوسُف** عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ **والحَشويَّة يَذكُرون أنَّه لمَّا قَال يُوسُف هذَا الكلامَ قال جِبرِيل** عَلَيْهِ السَّلَامُ: **ولَا حِين هَممتَ، وهذَا مِن رِوَايَاتِهم الخَبيثَة، ومَا صحَّت هذه الرِّوَايَة في كتَابٍ مُعتَمَد، بَل هُم يُلحِقونَها بهذا المَوضِع سَعيًا مِنهُم في تَحرِيف ظَاهِر القُرآن**».

قَال ابن الجوزي في زَادِ المَسِير (٢ / ٤٢٩): «**ولَا يَصحُّ مَا يُروَىٰ عَن المُفسِّرين أنَّه حَلَّ السَّراوِيل وقَعدَ مِنهَا مَقعَد الرَّجُل، فإنَّه لَو كَان هذَا، دلَّ علىٰ العَزمِ، والأنبيَاءُ مَعصُومون من العَزمِ علَىٰ الزِّنَا**».

قال أبو منصور الماتريدي في تفسيره (٦ / ٢٣٥) : «قوله: استعصم بالله أو بدينه أو نبوته أو بعقله، هذا يدّل علىٰ أنه **لم يكن منه ما قال أهل التأويل من حَلّ السراويل ونحوه**».

وقال أيضًا في تفسيره (٦ / ٢٢٥) : «**أمَّا مَا قَالَه أَهلُ التَّأوِيلِ إنَّها استَلقَت لَه** ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ **أَي: حلَّ سَرَاوِيلَه، وأَمثَال هذَا مِن الخُرَافَات؛ فهَذَا كُلُّه ممَّا لا يَحلُّ أَن يُقال فيهِ شَيءٌ مِن ذَلِك**».

❁❁❁

الخاتمة

تبيَّن لنَا ممَّا سبَق ذِكرُه:

١- قصة يُوسُف أحسنُ القَصَص.

٢- يُوسُف عليه السلام لَم يَحدُث مِنه (همٌّ) أي: لَم تَحدِّثْه نَفسُه بقَول شَيء مُحرَّم أو فِعل مُحرَّم، أو تتحرَّك شَهوَاتُه وغَرائِزُه الجسديَّة، وأيضًا لَم يَقُل بِلسَانِه شيء مُحرَّم أَو يَفعَل بجَوارِحِه شيء مُحرَّم، فهُو مُنزَّه عَن كلِّ مَا يُشينُه.

٣- ما رُوي في كُتب التَّفسِير مِن ذِكر مَا دَار بينَ امرَأة العَزيز ويُوسُف مِن تَعرِّي يُوسُف مِن ثِيابِه وجُلُوسِه بَين رِجلَي امرأةِ العزيزِ، وظُهُور يدٍ ليُوسُف فِيهَا آيَات من القُرآن أو ظُهُور صُورَة يَعقُوب في الحَائطِ أو السَّقفِ، وذِكر امرأةِ العَزيزِ مَحاسنَ يُوسُف ليُوسُف، فكلُّ ذَلِك ضَعِيف وإذَا صحَّ مِنه شَيءٌ عن السَّلَف فهُو مُقتَبس مِن كُتبِ أَهلِ الكُتبِ المُحرَّفَة.

٤- لَا يُوجَد رِوايَة صَحيحَة أو ضَعِيفَه عنِ النَّبيِّ ﷺ فِيهَا ذِكر مَا دَار بَينَ امرَأةِ العَزيز ويُوسُف، بَل أَحادِيث النَّبِي فِيهَا الثَّناء علَىٰ يُوسُف.

٥- نُحَاة الكُوفة ومِن نُحاةِ البَصرَة أَبِي زَيد الأَنصَاري وأبِي العبَّاس المُبرِّد والأَخفَش وقُطرُب وأبِي عُبَيدَة، يقُولُون أنَّ ﴿هَمَّ بِهَا﴾ جَواب شَرط امتَنَع لوُجُود الشَّرط ﴿لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾.

٦- الخَلِيل بن أحمَد ويُونُس بن حَبِيب وسِيبَوَيه، يقَولُون أنَّ ﴿هَمَّ بِهَا﴾ دَلِيل جَواب الشَّرط، بينَمَا جواب الشَّرط مَحذُوف دلَّ عليهِ مَا قَبلَه ﴿هَمَّ بِهَا﴾ وقَد بينَّا أنَّه علَىٰ قَولِهم لَم يَحدُث من يُوسُف هَمٌّ بامرَأةِ العَزيزِ؛ لأنَّ الذِي جَعلَهُم يقُولُوا أنَّ جَوابَ الشَّرط مَحذُوف دلَّ عليهِ مَا قَبلَه، هُو الصَّنعَة النَّحوِيَّة الإعرَابيَّة.

٧- يُوجَد منَ البَلاغَة والفَصاحَة في سورة يُوسُف مَا لَا يُوجَد في غَيرِها مِن سُوَر القُرآن.

٨- الأنبيَاء مَعصُومُون في تَبلِيغ الرِّسَالة بِالإجمَاع، ومَعصُومُون منَ الكَبائِر بِالإجمَاع ، والخَلاف في وقُوع الصَّغَائِر مِنهُم والرَّاجِح وقُوع الصَّغَائِر، ولكنَّهم يُبادِرُون إلَىٰ التَّوبة فيتُوب اللهُ عَليهِم.



الفهرس

تقديم ٥

لماذا كانت قصة يُوسُف أحسن القصص ٧

عِصمَةُ الأَنْبِيَاءِ ١١

عصمة الأنبياء فيما يبلغونه عن الله بالإجماع ١٩

عصمة الأنبياء من الكبائر ٢٣

عِصْمَةُ الأَنْبِيَاءِ مِنَ الصَّغَائِرِ ٢٦

معنىٰ: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ ٣١

إعراب: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ ٣٧

الداوعي التي توفرت ليوسف لِفعل الفَاحشةِ ٦١

كُلُّ مَن لَه تَعلُّق بالوَاقِعَه فقَد شهِد ببرَاءَة يُوسُف ٦٥

من دلائل براءة يوسف ٧٢

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ من قول امرأة العزيز، وليس قول يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٧٣

الملك رجل والعزيز رجل آخر ٨١

قول الله تعالىٰ: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ عائد إلىٰ السجين الذي ظن أنه ناج ٨٥

قول الله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ ٩٠
قول الله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ ٩٢
قول الله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ٩٤
دَلَائِل براءَة يُوسُف من مُراوَدتِه لامرَأة العزيز كثِيرَة ٩٥
قول الله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ كلام النسوة متضمن وجوه من المكر ٩٧
معنىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ ١٠١
في قراءة الحسن البصري وهي قراءة شاذة (قد شعفها حبا) ١٠٩
قول الله تعالىٰ: ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ ١١٥
قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ ١١٧
قول الله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ لفظ نسوه مؤنث والفعل قال فعل مذكر وهذا ليس فيه إشكال ١٢٠
قول الله تعالىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ ١٢٧
كتب أهل الكتاب محرفه وفيها سب لله وأنبيائه ١٢٩
القرآن يشهد التاريخ لصدقه ١٣٥
العلماء الذين ضعفوا روايات كتب التفسير التي فيها أن يُوسُف تعرىٰ من ثيابه ١٣٧

الخاتمة ١٤٣

الفهرس ١٤٥

